

فضل القرآن وأهله

للشيخ/ ندا أبو أحمد



فضل القرآن وأهله

مَهَيِّدٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَغِيثُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله - تعالى -، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة فضل القرآن وأهله أولاً: فضل القرآن

- ١- القرآن كلام الله- تعالى- وكفي بهذا شرفاً وفضلاً.
- ٢- القرآن أعظم مصدر لمعرفة الله-تعالى-.
- ٣- القرآن الكريم هو المعجزة التي أيد الله بها نبيه-صلى الله عليه وسلم-.
- ٤- القرآن بصائر للناس.
- ٥- القرآن تشريف لهذه الأمة.
- ٦- القرآن رحمة.
- ٧- القرآن تذكرة لمن يخشى.
- ٨- القرآن موعظة.
- ٩- القرآن يصل الناس بخالقهم.
- ١٠- القرآن هداية للبشرية ورشاد، وعصمة لهم من الضلال والإلحاد.
- ١١- القرآن انزله الله- تعالى- للعالمين.
- ١٢- القرآن نعمة عظيمة.
- ١٣- القرآن لو أنزله الله-تعالى- على جبل لخضع وتصدع.
- ١٤- القرآن مثاني تقشعر منه جلود وقلوب الذين يخشون ربهم.
- ١٥- القرآن عظيم القدر، والعمل به يتقل الميزان.
- ١٦- القرآن عجب، يهدي الله به إلى الرشد.
- ١٧- القرآن بشرى للمؤمنين.
- ١٨- القرآن كريم.
- ١٩- القرآن مجيد.
- ٢٠- القرآن فيه الذكرى والموعظة والاعتبار.
- ٢١- القرآن حق.
- ٢٢- القرآن لا شك فيه.
- ٢٣- القرآن برهان.
- ٢٤- القرآن فرقان، يفرق الله به بين الحق والباطل، والهدى والضلال.
- ٢٥- القرآن محفوظ.
- ٢٦- القرآن حكيم.
- ٢٧- القرآن مبين واضح لا خفاء فيه.
- ٢٨- القرآن وصفه الله-تعالى- بأنه عزيز حفيظ.
- ٢٩- القرآن مهيمن على الكتب التي أنزلت من قبله.
- ٣٠- القرآن عليّ ذو مكانة عظيمة.
- ٣١- القرآن يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم.
- ٣٢- القرآن تبيان.
- ٣٣- القرآن فيه تفصيل كل شيء.
- ٣٤- القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
- ٣٥- القرآن أحسن الحديث.
- ٣٦- القرآن مستقيم، لا ترى فيه عوج.
- ٣٧- القرآن جاء بلسان عربي.
- ٣٨- القرآن حفظه سهل ميسر.
- ٣٩- القرآن سبب في زيادة الإيمان.
- ٤٠- القرآن سبب لنزول السكينة وغشيان الرحمة.
- ٤١- القرن طمأنينة القلب.
- ٤٢- القرآن يفرج الله به الهم ويذهب به الغم.

- ٤٣- القرآن حياة، وروح، ونور.
 ٤٤- القرآن شفاء.
 ٤٥- القرآن مبارك.
 ٤٦- القرآن خير من الدنيا وما فيها.
 ٤٧- القرآن يرفع الله به أقوام ويضع آخرين.
 ٤٨- القرآن حجة لأقوام وحجة على آخرين.
 ٤٩- القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة.
 ٥٠- القرآن وصية النبي-صلى الله عليه وسلم-.

ثانياً: فضل أهل القرآن:

- ١- أهل القرآن هم أهل الله وخاصته.
- ٢- أهل القرآن هم خير الناس وأفضلهم.
- ٣- أهل القرآن يحبهم الله-عز وجل-.
- ٤- أهل القرآن هم أحق الناس بالإمامة في الصلاة.
- ٥- أهل القرآن هم أحق الناس بالإمارة والولاية.
- ٦- أهل القرآن لا يردون إلى أرذل العمر.
- ٧- أهل القرآن يكرمون.
- ٨- صاحب القرآن دائماً في تجارة رابحة، وأجر كبير.
- ٩- أهل القرآن تحضرهم الملائكة لتستمع القرآن منهم.
- ١٠- أهل القرآن يغتاض ويبيكي منهم الشيطان.
- ١١- أهل القرآن ربانيون لأنهم يعلمون الناس القرآن.
- ١٢- أهل القرآن العاملون به ينفعون أنفسهم وينتفع بهم غيرهم.
- ١٣- أهل القرآن يرجون تجارة لن تبور.
- ١٤- أهل القرآن لا يكتبون من الغافلين بل يكتبون من المطيعين.
- ١٥- أهل القرآن يحفظون من الزيغ والضلال.
- ١٦- صاحب القرآن يكتب من المقنطرين.
- ١٧- صاحب القرآن يتحصل على جبال من الحسنات.
- ١٨- أهل القرآن الذين يعلمون الناس القرآن؛ أجرهم ممدود غير مقطوع.
- ١٩- أهل القرآن يحفظون من فتنة المسيح الدجال.
- ٢٠- أهل القرآن لا يعذبون في قبورهم.
- ٢١- أهل القرآن يستقبلهم القرآن عند خروجهم من القبر، ويطمئنهم ويبشرهم بالخير الكثير والأجر العظيم.
- ٢٢- أهل القرآن ينجيهم الله من عذاب يوم القيامة، ولهم الأمن في الدنيا والآخرة.

- ٢٣- أهل القرآن مآلهم جنة الرحمن.
٢٤- أهل القرآن يرتقون إلى أعلى درجات الجنان بقدر ما يحفظون من القرآن.
٢٥- أهل القرآن في أعلى الجنان مع السفرة الكرام.

ثالثاً: فضل بعض السور والآيات:

- ١- فضل سورة الفاتحة.
٢- فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة.
٣- فضل سورة البقرة وآل عمران.
٤- فضل سورة البقرة.
٥- فضل خواتيم سورة البقرة.
٦- فضل آية الكرسي.
٧- فضل خواتيم سورة آل عمران.
٨- فضل السبع الطوال.
٩- فضل سورة الكهف.
١٠- فضل سورة الفتح.
١١- فضل سورة تبارك (الملك).
١٢- فضل سورة التكويد، والانفطار، والانشقاق.
١٣- فضل سورة الكافرون.
١٤- فضل سورة الإخلاص.
١٥- فضل المعوذات.
١٦- فضل المعوذتين.

رابعاً: كلام السلف عن القرآن وأهله:

يذكر في ثنايا الرسالة

خامساً: اجتهد السلف في قراءة القرآن:

يذكر في ثنايا الرسالة

مدخل:

شهر رمضان هو الشهر الذي نزل فيه القرآن الكريم هداية للبشرية جميعاً، ورحمة للناس أجمعين.

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾

(البقرة: ١٨٥)

وكان جبريل -عليه السلام- يلقي النبي ﷺ في كل سنة في رمضان وذلك في كل ليلة فيدارسه القرآن فيعرض رسول الله ﷺ على جبريل القرآن.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة."

قال ابن رجب -رحمه الله- في كتابه "لطائف المعارف ص ١٨٩": "دل الحديث على استحباب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان، وفي حديث فاطمة -عليها السلام- عن أبيها ﷺ: أنه أخبرها أن جبريل -عليه السلام- كان يعارضه القرآن كل عام مرة، وأنه عارضه في عام وفاته مرتين^(١). وفي حديث ابن عباس -رضي الله عنهما السابق أن المذاكرة بين النبي ﷺ وبين جبريل عليه السلام كانت ليلاً، يدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً، فإن الليل تنقطع فيه الشواغل ويجتمع فيه الهم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ

وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ (المزمل: ٦). اهـ

وكان السلف الكرام إذا دخل رمضان أقبلوا على قراءة القرآن، فها هو الزهري كان إذا دخل رمضان قال: إنما هو قراءة القرآن وإطعام الطعام.

والقرآن الكريم له فضائل كثيرة لاتعد ولا تحصى، ولأهله مكانة عظيمة، وسنقف مع بعض منها في هذه الرسالة.

١- والحديث أخرجه البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- عن فاطمة -رضي الله عنها- قالت: أسرَّ إلى النبي ﷺ أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي".

فضل القرآن وأهله:

أولاً: فضل القرآن

مقدمة: القرآن الكريم هو دستور الأمة الخالد يكفل للعبد السعادة في الدنيا والآخرة، أنزله الله - تعالى - من فوق سبع سماوات على نبينا ﷺ ليُخرج به الناس من الظلمات إلى النور، ومن درك الشرك إلى واحة الإيمان والتوحيد، قال تعالى: ﴿كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (إبراهيم: ١) والقرآن الكريم هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، فيه نبأ ما قبلنا، وخير ما بعدنا، وحكم ما بيننا، هو الفصل ليس بالهزل! من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، والقرآن نور للأبصار، وشفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، وهو جلاء للأحزان، ودواء للأبدان، وربيع للقلوب وبه تذهب الهموم والغموم، وهو أصدق كتاب، وأحسن حديث، وهاديا إلى سبيل الرشاد، وهو مؤنس في القبور، وشفيع لحملته يوم البعث والنشور وهو نجاة من النيران، ومنقذ من الخسران، وقائد لمن تبعه إلى الجنان، وسبيل للفوز برضى الرحمن. والأمة الإسلامية يوم تخلت عن كتاب ربها وسنة رسولها ﷺ ركبها الذل والصغار - كما هو حالنا الآن - ولا حول ولا قوة إلا بالله. فلا عز لنا ولا كرامة ولا رفعة إلا بالتمسك بالقرآن الكريم قراءة وحفظاً وفهماً وتدبراً وعملاً كي نسعد به في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠) **يقول السعدي - رحمه الله - في "تفسيره: ٣/ ٣٠٢" عند هذه الآية:** لقد أنزلنا كتاباً جليلاً، وقرآنًا مبيناً **(فيه ذِكْرُكُمْ)** أي شرفكم وفخركم، وارتفاعكم، إن تذكرتم به، ما فيه من الأخبار الصادقة، فأعتقدتموها، وامتنلتم ما فيه من الأوامر، واجتنبتم ما فيه من النواهي، وارتفع قدركم، وعظم أمركم **(أَفَلَا تَعْقِلُونَ)** ما ينفعكم وما يضركم؟ كيف لا تعملون على ما فيه ذِكْرُكُمْ، وشرفكم في الدنيا والآخرة، فلو كان لكم عقل، لسلكتم هذا السبيل. فلما لم تسلكوه، وسلكتم غيره، من الطرق التي فيها ضَعُفُكُمْ وَخِسْتُكُمْ في الدنيا والآخرة وشقاوتكم فيها، علم أنه ليس لكم معقول صحيح، ولا رأي راجح وهذه الآية مصداقها ما وقع، فإن المؤمنين بالرسول، والذين تذكروا بالقرآن، من الصحابة، فمن بعدهم، حصل لهم من الرفعة والعلو الباهر، والصيت العظيم، والشرف على الملوك، ما هو أمر معلوم لكل أحد، كما أنه معلوم ما حصل لمن لم يرفع بهذا القرآن رأساً، ولم يهتد، ولم يتزكَّ به، من المقت والضعة، والتدسية، والشقاوة، فلا سبيل إلى سعادة الدنيا والآخرة، إلا بالتذكر بهذا الكتاب . اهـ.

فلا سيادة لنا ولا قيادة إلا بالرجوع إلى كتاب ربنا، كما كان حال السلف الكرام عندما أخذوا القرآن الكريم منهج حياة.

فما أحوج الأمة الإسلامية الآن إلى أن تنتهج نهجهم وتسلك طريقهم، وتعود إلى كتاب ربها، وسنة رسولها ﷺ حتى تعود لها السيادة والقيادة وتسعد في الدنيا والآخرة.

وفي هذه الرسالة تذكير بفضائل القرآن وأهله، لشحذ الهمم للأخذ به، والعمل بما فيه، لأنه كما قيل:

" من لم يعرف ثواب الأعمال ثقلت عليه في جميع الأحيان "

وفضائل القرآن لا تعد ولا تحصى، لكن محاسن أنواره لا يراها إلا أصحاب البصائر الجليلة، وأطايب ثمرة لا يقطفها إلا الأيدي الزكية، ومنافع شفافه لا ينالها إلا النفوس النقية.

اللهم اجعلنا منهم بكرمك وفضلك يا أرحم الراحمين..... آمين

وإليك أخي الحبيب بعض فضائل القرآن.

١ - القرآن كلام الله - تعالى - وكفي بهذا شرفاً وفضلاً:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: ٦)

فالقرآن هو كلام الله وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي أَنَّ النبي ﷺ قال: " ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي " .

وكانوا قديماً يقولون: " كلام الملوك، ملوك الكلام " فكيف بكلام ملك الملوك سبحانه وتعالى فمن استحضر عند تلاوته القرآن أو سماعه أنه كلام الرب العظيم تبارك وتعالى، وأنه خطاب موجه إليه من الملك الكبير المتعال، والسيد القهار الجبار شديد المحال الذي له الخلق والأمر، وبيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع الأمر كله، وبيده تصريف الأمور وتدبيرها، لا شك، أن ذلك سيؤثر في خشوعه، وخضوعه وانتقاعه وارتفاعه واستمتاعه بهذا الكلام العظيم والذكر القويم.

وصدق القائل حيث قال:

منع القرآن بوعدة ووعيده مقلّ العيون بليها لا تهجّع
فهموا عن الملك الجليل كلامه فهماً تذلل له الرقاب وتخضع

فعظمة القرآن تكمن في كونه أنه من عند الله تعالى.

٢- القرآن أعظم مصدر لمعرفة الله - تعالى :-

يقول ابن القيم - رحمه الله - في كتاب " الفوائد ص ١٩٦ :

" من الناس من يعرف الله بالجود والإفضال والإحسان، ومنهم من يعرفه بالعفو والحلم والتجاوز، ومنهم من يعرفه بالبطش والانتقام، ومنهم من يعرفه بالعلم والحكمة، ومنهم من يعرفه بالعزة والكبرياء، ومنهم من يعرفه بالرحمة والبر واللفظ، ومنهم من يعرفه بالقهر والملك، ومنهم من يعرفه بإجابة دعوته وإغاثة لهفته وقضاء حاجته، وأعظم هؤلاء معرفة مَنْ عرفه من كلامه؛ فإنه يعرف رباً قد اجتمعت له صفات الكمال ونعوت الجلال، مُنَزَّة عن المثال برئ من النقائص والعيوب، له كل اسم حسن وكل وصف كمال، فعلاً لما يريد فوق كل شيء ومع كل شيء وقادر على كل شيء، ومقيم لكل شيء، أمر ناه، متكلم بكلماته الدينية والكونية، أكبر من كل شيء وأجمل من كل شيء أرحم الراحمين وأقدر القادرين وأحكم الحاكمين، فالقرآن أنزل لتعريف عباده به، وبصراطه الموصل إليه، وبحال السالكين بعد الوصول إليه ". اهـ.

٣- القرآن الكريم هو المعجزة التي أيد الله بها نبيه - صلى الله عليه وسلم :-

فالله تعالى تحدى الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فعجزوا، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٨) وكرر هذا التحدي في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٣، ٢٤) فتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله، فقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (هود: ١٣) فعجزوا، فتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة مثله، فعجزوا، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (يونس: ٣٨) وبذلك ثبت أن هذا القرآن من عند الله، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من الأنبياء إلا أُعطي من الآيات على ما مثله آمن البشر، وإنما كان الذي أُتيت به وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة " .

وأظهر الأقوال في تفسير هذا الحديث: أن معجزة كل نبي كانت تنتهي بانتهاء عصره ولا يشاهدها إلا من حضرها، أما معجزة النبي ﷺ الكبرى وهي القرآن فمستمرة إلى يوم القيامة، وظهور ما أخبر به من المعجزات لا يخلو منه عصر من العصور، والله أعلم.

٤- القرآن بصائر للناس:

قال تعالى: ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (الجمعة: ٢٠)

وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ ﴾ (الأنعام: ١٠٤)

قال القرطبي - رحمه الله -: " قوله تعالى (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ) أي: آيات وبراهين يبصر بها ويستدل، جمع بصيرة وهي الدلالة.

ويعني: بالبصيرة الحجة البينة الظاهرة (فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ)، الإبصار: هو الإدراك بحاسة البصر، أي فمن استدل وتعرف فنفسه نفع (وَمَنْ عَمِيَ) لم يستدل، فصار بمنزلة الأعمى، فعلى نفسه يعود ".

- وقال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير الآية السابقة:

" البصائر: هي البينات والحجج التي اشتمل عليها القرآن، وما جاء به رسول الله ﷺ ".

- وقال الشنقيطي - رحمه الله - في تفسير الآية السابقة: " البصائر جمع بصيرة وهي البرهان القاطع الذي لا يترك في النفس أدنى شبهة ".

- وقال الرازي - رحمه الله -: " كما أن البصر اسم للإدراك التام الكامل الذي يحصل بالعين التي في الرأس، فالبصيرة اسم للإدراك التام الحاصل في القلب ". اهـ.

من عرف أن القرآن بصائر له من الله ﷻ اجتهد في أن يستبصر به إذا واجهته ظلمات الشبهات ومدهمات الفتن والشهوات، وحرص على أن يبصر الآخرين من خلال هذا النور العظيم والبرهان القويم، وليعلم أن الشهوات والآثام حجب لبصائر وأبصار الأنام، فليبتعد عنها وليأمن منها.

٥- القرآن تشريف لهذه الأمة:

فبهذا القرآن تحيا القلوب، وتطيب بتلاوته الأرواح وتزكو بالعمل به النفوس وهو الذكر المكسب للشرف، والرافع إلى ملاء الأخيار.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَذِكْرَكَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ (الزخرف: ٤٤)

قال تعالى: ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ (سورة ص: ١)

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره: ١٢٣/١: " وقوله (وَالْقُرْآنِ) فقد أقسم الله بالقرآن تنبيها على جلالة قدره، فإن فيه بيان كل شيء، وشفاء لما في الصدور، ومعجزة للنبي ﷺ (ذِي الذِّكْرِ) قال ابن عباس ومقاتل: أي ذي البيان، وقال الضحاك: ذي الشرف، أي من آمن به كان شرفاً له في الدارين كما قال تعالى (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ) (الأنبياء: ١٠) أي فيه شرفكم وأيضاً القرآن شريف في نفسه لإعجازه واشتماله على ما لا يشتمل عليه غيره، وقيل (ذِي الذِّكْرِ) أي: فيه ذكر ما يحتاج إليه من امر الدين، وقيل (ذِي الذِّكْرِ) أي: فيه ذكر أسماء الله وتمجيده، وقيل: أي الموعظة والذكر ".

٦- القرآن رحمة:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت: ٥١)
فالقرآن رحمة لأنه دستور الحياة، وبه تحيا القلوب، وتنتظم الحياة.

وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٥)

وقال تعالى: ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء: ٨٢)

- قال الإمام السيوطي-رحمه الله- في " الدر المنثور " عند هذه الآية: (وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ) فالله تعالى جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه (وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه ".
وقال الحسن البصري-رحمه الله-: " والله ما جالس القرآن أحد إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان، ثم تلا قوله تعالى: (وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)". اهـ

- وقال ابن كثير-رحمه الله- عند تفسيره هذه الآية: " والقرآن رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير، والرغبة فيه ". اهـ.

- وقال القرطبي-رحمه الله-: " وقوله تعالى: (وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) تفريج الكرب، وتطهير العيوب، وتكفير الذنوب، مع ما تفضل الله به تعالى من الثواب في تلاوته ". اهـ.

فالقرآن رحمة للمؤمنين دون الكافرين به، لأن المؤمنين به يعملون بما فيه من فرائض الله ويحلون حلاله، ويحرمون حرامه، فيدخلهم بذلك الجنة، وينجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله. فالحمد لله على نعمة القرآن، حيث أنزله الرحمن على النبي العدنان ﷺ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويأخذهم من درك الجاهلية ويصعد بهم إلى عنان السماء، عن طريق هذا المنهج الرباني الفريد العجيب، وهذا قمة الرحمة.

٧- القرآن تذكرة لمن يخشى:

قال تعالى: ﴿طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ (٢) إِلَّا تَذَكُّرٌ لِّمَن يَخْشَىٰ (٣) تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَىٰ﴾ (طه: ١-٤)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره: ١٤٦/٣: " قال قتادة: وقوله (مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ) أي: أن الله - تعالى - ما جعله شقاءً، لكن جعله رحمةً ونوراً ودليلاً إلى الجنة (تَذَكُّرٌ لِّمَن يَخْشَى) أي: أن الله أنزل كتابه وبعث رسوله رحمةً رحم بها عباده ليتذكروا ذاكراً وينتفع رجلٌ بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه، وقوله (تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى) أي هذا القرآن الذي جاءك يا محمد هو تنزيلٌ من ربك، رب كل شيءٍ ومليكه القادر على ما يشاء الذي خلق الأرض بانخفاضها وكثافتها، وخلق السموات العلى في ارتفاعها ولطافتها ...". اهـ.

٨- القرآن موعظة:

قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٧، ١٣٨)

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَبَّبْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود: ١٢٠)

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (النور: ٣٤)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس: ٥٨، ٥٧)

- قال الفخر الرازي-رحمه الله- في "تفسيره": "وهو في الحقيقة موعظة لأن القائل هو الله تعالى، والآخذ جبريل، والمستملي محمد ﷺ فكيف لا تقع به الموعظة؟!". اهـ.

- وقال الإمام البقاعي-رحمه الله- في "نظم الدرر في تناسب الآي والسور": والموعظة: إبانة تدعو إلى الصلاح بطريق الرغبة والرغبة، والوعظ ما دعا إلى الخشوع والنسك وصرف عن الفسوق والإثم.

- وقال شيخ المفسرين الطبري-رحمه الله-: "جعله الله للمؤمنين شفاء يستشفون بمواعظه، من الأدوية العارضة لصدورهم، من وساوس الشيطان وخطراته، فيكفيهم ويغنيهم عن كل ما عداه من الموائع ببيان آياته".

- وقال-رحمه الله-: "يقول تعالى ذكره لخلقه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) يعني ذكرى تذكركم عقاب الله وتخوفكم وعيده من ربكم. يقول: من عند ربكم لم يخلتها محمد ﷺ ولم يفتعلها أحد، فتقولوا لا نأمن أن تكون لا صحة لها. وإنما يعني بذلك جل ثناؤه القرآن، وهو الموعظة من الله".

٩- القرآن يصل الناس بخالقهم:

فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "كتاب الله؛ هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض". (صحيح الجامع: ٤٤٧٣) (الصحيحة: ٢٠٢٤)

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي شريح الخزازي رضي الله عنه قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: "أبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟ قالوا بلى. قال: إن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبداً". (الصحيحة: ٧١٣)

١٠- القرآن هداية للبشرية ورشاد، وعصمة لهم من الضلال والإلحاد:

قال تعالى: ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين (١) هدى وبشرى للمؤمنين﴾ (النمل: ٢٠١)

قال القرطبي-رحمه الله:- "والهدى في كلام العرب معناه الرشد والبيان، أي فيه كشف لأهل المعرفة، ورشد وزيادة وبيان وهدى".

وقال تعالى حاكياً عن الجن: ﴿إنا سمعنا قرآناً عجبا (١) يهدي إلى الرشدين فآمنّا به﴾ (الجن: ٢٠١)

• والقرآن هدى للمتقين:

قال تعالى: ﴿آم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ (البقرة: ٢٠١)

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة-رحمه الله- قال في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: جعله الله هدى وضياء لمن صدق به ونورا للمتقين.

وقال الإمام الطبري-رحمه الله- في الآية السابقة: "والهدى في هذا الموضع مصدر من قولك هديت فلانا الطريق إذا أرشدته إليه. ودلّته عليه، وبينته له". اهـ.

• والقرآن هدى للناس جميعاً:

قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ (البقرة: ١٨٥)

• والقرآن يهدي للتي هي أقوم:

قال تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً﴾ (الإسراء: ٩)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي سعيد الخدري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:

"لو كانت سورة واحدة لكفت الناس". (صحيح الجامع: ٥٢٩٣)

فسوره واحدة تكفي الناس وتهديهم إلى سواء السبيل، فكيف بمجموع القرآن؟!

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الطبراني في الكبير وابن حبان عن أبي شريح الخزاعي ؓ قال:

"خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: أبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟ قالوا:

بلى. قال: إن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به؛ فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا

بعده أبداً". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٨) (الصحيحة: ٧١٣)

ورواه البزار والطبراني في الكبير والصغير من حديث جبير بن مطعم ؓ قال: "كنا مع النبي ﷺ

بالجحفة فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني رسول الله، وأن القرآن جاء

من عند الله؟ قلنا: بلى قال: أبشروا؛ فإن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم فتمسكوا، فإنكم لن

تهلكوا ولن تضلوا بعده أبداً". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٩)

-وأخرج الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما-قال: خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال: " إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَسَّ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ وَلَكِنَّهُ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحَاقَرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاصْدُرُوا؛ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٤٠)

-وفي رواية عند الحاكم: " تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض ". (صحيح الجامع: ٢٩٣٧)

وأخرج الترمذي من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ". (صحيح الجامع: ٢٤٥٨)

١١ - القرآن انزله الله -تعالى- للعالمين:

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان: ١)

فالله - سبحانه وتعالى - أرسل رسوله محمداً ﷺ وأنزل كتابه وهو القرآن للناس جميعاً إنسهم وجنهم، أسودهم وأحمرهم.

يقول ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: ٣/٣١٨: " وقوله سبحانه (لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) أي إنما خصه بهذا الكتاب المفصل العظيم المبين المحكم الذي "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد" الذي جعله فرقاناً عظيماً ليخصه بالرسالة إلى من يستظل بالخضراء ويستقل على الغبراء، كما قال ﷺ: "بعثت إلى الأحمر والأسود"، وقال "إني أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي - فذكر منهم -: أنه كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة ". كما قال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) (الأعراف: ١٥٨) أي: الذي أرسلني هو ملك السماوات والأرض الذي يقول للشيء كن فيكون، وهو الذي يحيى ويميت ". اهـ.

١٢ - القرآن نعمة عظيمة:

هذه النعمة لا يسعها حمد البشر، فحمد الله نفسه على هذه النعمة.

قال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ (الكهف: ١)

فبهذا القرآن نقندين، وبه نهتدي، وإليه نتحاكم، وبأوامره ونواهيه نعمل وعند حدوده نقف ونلتزم، فهو سعادتنا في الدنيا والآخرة فالحمد لله على هذه النعمة.

١٣- القرآن لو أنزله الله - تعالى - على جبل لخشع وتصدع:

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: ٢١)

قال شيخ المفسرين الطبري - رحمه الله -: "يقول جل ثناؤه: (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ) - وهو حجر - لرأيتَه يا محمدُ (خَاشِعًا) يقول: متذللاً، (مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) على قساوته، حذرًا من ألا يؤدي حقَّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن، وقد أنزل على ابن آدم وهو بحقه مستخفٍّ، وعنه وعمَّا فيه من العبر والذكر معرض، كأن لم يسمعها، كأنَّ في أذنيه وقْرًا".

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في "مقدمة تفسيره": ولولا أنه سبحانه جعل في قلوب عباده من القوة على حملة، ليتدبروه وليعتبروا به، وليتذكروا ما فيه من طاعته وعبادته، ما حملوه يقول - تعالى - جده وقوله الحق: (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) فأين قوة القلوب من قوة الجبال! ولكن الله تعالى رزق عباده من القوة على حملة ما شاء أن يرزقهم، فضلاً منه ورحمه.

وقال - رحمه الله - أيضاً: وقوله تعالى: (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا) حثُّ على تأمل مواظ القرآن وبين أنه لا عذر في ترك التدبر، فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواظته، ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة، أي متشقة من خشية الله. والخاشع: الذليل، والمتصدع: المتشقق، وقيل: خاشعاً لله بما كلفه من طاعته. متصدعاً من خشية الله أن يعصيه فيعاقبه. وقيل: هو على وجه المثل للكفار. قوله تعالى: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ) أي: إنه لو أنزل هذا القرآن على جبل لخشع لوعده وتصدع لوعيده وأنتم أيها المقهورون بإعجازه لا ترغبون في وعده، ولا ترهبون من وعيده

وقيل: الخطاب للنبي ﷺ، أي لو أنزلنا هذا القرآن يا محمد على جبل لما ثبت، وتصدع من نزوله عليه، وقد أنزلناه عليك وثبتناك له، فيكون ذلك امتناناً عليه أن ثبته لما لا تثبت له الجبال. وقيل: إنه خطاب للأمة، وأن الله تعالى لو أنذر بهذا القرآن الجبال لتصدعت من خشية الله. والإنسان أقل قوة وأكثر ثباتاً، فهو يقوم بحقه إن أطاع، ويقدر على رده إن عصى، لأنه موعود بالثواب، ومزجور بالعقاب. اهـ.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره الآية السابقة: يقول تعالى معظماً لأمر القرآن، ومبيناً علو قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب، وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد والوعيد الأكيد: (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) أي: فإن كان الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه، لخشع وتصدع من خوف الله ﷻ فكيف يليق بكم أيها البشر ألا تلين قلوبكم وتخشع، وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه؟ " اهـ.

• فالقرآن سبيل لتحصيل الخشية:

لكن لتحصيل الخشية لابد من اشتراك اللسان والعقل في قراءة القرآن، فحظ اللسان: تصحيح الحروف، وحظ العقل: تفسير المعاني، وحظ القلب: الإيقاظ والتأثير بالانزجار والانتمار، فاللسان يرثل، والعقل يترجم، والقلب يتعظ، وهنا تحصل الخشية.

١٤- القرآن مثاني تقشعر منه جلود وقلوب الذين يخشون ربهم:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: ٢٣)

قال العلامة السعدي -رحمه الله-: يخبر تعالى عن كتابه الذي نزل به أنه (أَحْسَنُ الْحَدِيثِ) على الإطلاق، فأحسن الحديث كلام الله، وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله هذا القرآن، وإذا كان هو الأحسن، علم أن ألفاظه أفصح الألفاظ وأوضحها، وأن معانيه، أجل المعاني، لأنه أحسن الحديث في لفظه ومعناه، متشابهها في الحسن والانتلاف وعدم الاختلاف، بوجه من الوجوه. حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة، ما يبهر الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، هذا المراد بالتشابه في هذا الموضع، وأما في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) فالمراد بها، التي تشبه على فهم كثير من الناس، ولا يزول هذا الاشتباه إلا بردها إلى المحكم، ولهذا قال: (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) فجعل التشابه لبعضه، وهنا جعله كله متشابهًا، أي: في حسنه، لأنه قال: (أَحْسَنُ الْحَدِيثِ) وهو سور وآيات، والجميع يشبه بعضه بعضًا كما ذكرنا (مَثَانِي) أي: تُثَنَّى فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير، وصفات أهل الشر، وتُثَنَّى فيه أسماء الله وصفاته، وهذا من جلالته، وحسنه، فإنه تعالى، لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزيكية للقلوب، المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب، بمنزلة الماء لسقي الأشجار، فكما أن الأشجار كلما بعد عهدها بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائماً إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعاً، ولم تحصل النتيجة منه، ولهذا سلكت في هذا التفسير هذا المسلك الكريم، اقتداء بما هو تفسير له، فلا تجد فيه الحوالة على موضع من المواضع، بل كل موضع تجد تفسيره كامل المعنى، غير مراعى لما مضى مما يشبهه، وإن كان بعض المواضع يكون أبسط من بعض وأكثر فائدة، وهكذا ينبغي للقارئ للقرآن، المتدبر لمعانيه، أن لا يدع التدبر في جميع المواضع

منه، فإنه يحصل له بسبب ذلك خير كثير، ونفع غزير. ولما كان القرآن العظيم بهذه الجلالة والعظمة، أثر في قلوب أولي الألباب المهتدين، فلهذا قال تعالى: **(تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ)** لما فيه من التخويف والترهيب المزعج **(ثُمَّ تَلِيْنُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)** أي: عند ذكر الرجاء والترغيب، فهو تارة يرغبهم لعمل الخير، وتارة يرهبهم من عمل الشر.

(ذَلِكَ) الذي ذكره الله من تأثير القرآن فيهم **(هُدَى اللَّهِ)** أي: هداية منه لعباده، وهو من جملة فضله وإحسانه عليهم **(يَهْدِي بِهِ)** أي: بسبب ذلك **(مَنْ يَشَاءُ)** من عباده ويحتمل أن المراد بقوله: **(ذَلِكَ)** أي: القرآن الذي وصفناه لكم.

(هُدَى اللَّهِ) الذي لا طريق يوصل إلى الله إلا منه **(يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)** ممن حسن قصده، كما قال تعالى **(يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ)** **(وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)** لأنه لا طريق يوصل إليه إلا توفيقه والتوفيق للإقبال على كتابه، فإذا لم يحصل هذا، فلا سبيل إلى الهدى، وما هو إلا الضلال المبين والشقاء. اهـ.

فالقرآن علاج لقسوة القلب كما قال علام الغيوب عن القرآن في الآية السابقة **(.... تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِيْنُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)**

قال وهيب بن الورد-رحمه الله-: " نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أرقَ للقلوب، ولا أشد استجلاباً للخشية من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره "

وقال الرازي-رحمه الله- في تفسيره عند قوله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ):

" سماه حديثاً، لأن وصوله إليك حديث، ولأنه تعالى شبهه بما يتحدث به، فإن الله تعالى خاطب به المكلفين وكون القرآن أحسن الحديث، إما يكون أحسن الحديث بحسب لفظه أو بحسب معناه: القسم الأول: أن يكون أحسن الحديث بحسب لفظه، وذلك من وجهين:

الأول: أن يكون ذلك الحسن لأجل الفصاحة والجزالة.

الثاني: أن يكون بحسب النظم في الأسلوب، وذلك لأن القرآن ليس من جنس الشعر، ولا من جنس الخطب. ولا من جنس الرسائل، بل هو نوع يخالف الكل، مع أن كل ذي طبع سليم يستطيعه ويستلذه.

القسم الثاني: أن يكون كونه أحسن الحديث لأجل المعنى، وفيه وجوه:

الوجه الأول: أنه كتاب منزّه عن التناقض، كما قال تعالى: **(وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ**

اِخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء: ٨٢) ومثل هذا الكتاب إذا خلا عن التناقض كان ذلك من المعجزات.

الوجه الثاني: اشتماله على الغيوب الكثيرة في الماضي والمستقبل.

الوجه الثالث: أن العلوم الموجودة فيه كثيرة جداً. اهـ. بتصرف واختصار

- وقد سمي النبي ﷺ القرآن بأحسن الحديث.

ففي الحديث الذي أخرجه البيهقي في الدلائل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال:

كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أنه قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: " أما بعد.. أيها الناس فقدموا لأنفسكم إلى أن قال: ثم خطب رسول الله ﷺ فقال: " إن الحمد لله أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إن أحسن الحديث كتاب الله قد أفلح من زينته الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا من أحب الله أحب الله من كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله تعالى وذكره ولا تقسوا عنه قلوبكم فإنه من كل يختار الله ويصطفى فقد سماه خيرته من الأعمال ومصطفاه من العباد والصالح من الحديث.....".

١٥ - القرآن عظيم القدر، والعمل به يثقل الميزان:

قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل: ٥)

قال الإمام البقاعي -رحمه الله- في " نظم الدرر في تناسب الآي والسور":

(قَوْلًا ثَقِيلًا) (يعنى: القرآن)؛ أي: لما فيه من التكاليف الشاقة من جهة حملها وتحميلها للمدعويين، لأنها تضاد الطبع وتخالف النفس، ومن جهة رزانة لفظه لامتلأه بالمعاني مع جلالة معناه وتضاعده في خفاء فلا يفهمه المتأمل ويستخرج ما فيه من الجواهر الا بمزيد فكر وتصفية سر وتجريد نظر، فهو ثقیل على الموافق من جميع هذه الوجوه وغيرها، وعلى المخالف من جهة انه لا يقدر على رده ولا يتمكن من طعن فيه بوجه مع أنه ثقیل في الميزان وعند تلقيه وله وزن وخطر وقدر عظيم، وقد روى في الصحيح: " إن النبي ﷺ كان إذا أتاه الوحي يفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشتائي الشديد البرد، وكان إذا أنزل عليه الوحي وهو راكب على ناقته وضعت جرائنها فلا تكاد تتحرك حتى يُسرى عنه ". اهـ.

قال القشيري -رحمه الله-: " وروي عن ابن عباس ؓ أنه قال: إن سورة الأنعام نزلت على النبي ﷺ جملة واحدة وهو راكب فبركت ناقته من ثقل القرآن وهيبته، وهو مع ثقله على الأركان خفيف على اللسان سهل التلاوة والحفظ على الإنسان ". اهـ..

وقال الفخر الرازي - رحمه الله - في تفسيره: " وفي قوله تعالى: **(إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)** (المزمل: ٥) ذكروا في تفسير الثقل وجوهاً: أحدها: وهو المختار عندي أن المراد من كونه ثقيلاً: عظم قدره، وجلالة خطره، وهذا معنى كلام ابن عباس - في رواية عطاء **(قولا ثقيلا)** يعني كلاماً عظيماً. وثانيهما: أن المراد بالقول الثقيل: هي الأوامر والنواهي التي في القرآن الكريم، وهي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين عامة، وعلى رسول الله ﷺ خاصة، لأنه يتحملها بنفسه ويبلغها إلى أمته، وحاصله أن ثقله راجع إلى ثقل العمل به، فإنه لا معنى للتكليف إلا إلزام ما في فعله كلفة وشقة. وثالثها: روى عن الحسن أنه ثقيل في الميزان يوم القيامة؛ وهو إشارة إلى كثرة منافعه، وكثرة الثواب في العمل به.

ورابعها: المراد أنه عليه الصلاة والسلام كان يتقل عند نزول الوحي إليه، روى أن الوحي نزل عليه وهو على ناقته فنقل عليها حتى وضعت جرانها فلم تستطع أن تتحرك وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - كان إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتردد وجهه، وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: " **رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقاً**".

وخامسها: قال الفراء: **(قَوْلًا ثَقِيلًا)** أي: ليس بالخفيف ولا بالسفساف لأنه كلام ربنا تبارك وتعالى. وسادسها: قال الزجاج معناه: إنه قول متين في صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام رزين وهذا قول له وزن إذا كنت تستجيده وتعلم أنه وقع موقع الحكمة والبيان. وسابعها: قال أبو علي الفارسي إنه ثقيل على المنافقين من حيث أنه يهتك أسرارهم ومن حيث أنه يبطل أديانهم وأقوالهم.

وثامنها: أن الثقيل من شأنه أن يبقى في مكانه ولا يزول فجعل الثقيل كناية عن بقاء القرآن على وجه الدهر كما قال: **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** (الحجر: ٩)

وتاسعها: أنه ثقيل بمعنى أن العقل الواحد لا يفي بإدراك فوائده ومعانيه بالكلية فالمتكلمون غاصوا في بحار معقولاته والفقهاء أقبلوا على البحث عن أحكامه وكذا أهل اللغة والنحو وأرباب المعاني ثم لا يزال كل متأخر يفوز منه فوائد ما وصل إليها المتقدمون فعلمنا أن الإنسان الواحد لا يقوى على الاستقلال بحمله، فصار كالحمل الثقيل الذي يعجز الخلق عن حمله.

وعاشرها: إنه ثقيل لكونه مشتملاً على المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والفرق بين هذه الأقسام مما لا يقدر عليه إلا العلماء الراسخون المحيطون بجميع العلوم العقلية والحكمية، فلما كان كذلك لا جرم كانت الإحاطة به ثقيلة على أكثر الخلق ". اهـ.. بتصرف واختصار

١٦- القرآن عجب، يهدي الله به إلى الرشد:

قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (الجن: ٢٠، ١)

قال الإمام القرطبي-رحمه الله-: في تفسير الآية السابقة: وقوله تعالى: (فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) أي: في فصاحة كلامه وقيل: عجبًا في بلاغة مواضعه. وقيل عجبًا في عظم بركته. وقيل قرآنًا عزيزًا لا يوجد مثله. وقيل: يعنون عظيمًا. و (عَجَبًا) لا شك أبلغ من العجيب.

وقال القاسمي-رحمه الله-: (عَجَبًا) أي: غريبًا لا تتاسبه عبارة الخلق ولا يدخل تحت قدرتهم.

وقال ابن الجوزي-رحمه الله-: (عَجَبًا) معناه بليغًا يعجب منه لبلاغته.

وقال السعدي-رحمه الله-: أي من العجائب الغالية والمطالب العالية.

قال البقاعي-رحمه الله- في كتابه "نظم الدرر في تناسب الآي والسور": (عَجَبًا) أي: بديعًا خارجًا عن عادة أمثاله من جميع الكتب الإلهية، فضلًا عن كلام الناس، مع جلالة النظم، وإعجاز التركيب والوضع مع الموافقة لها في الدعوة إلى الله تعالى، والبيان للمحاسن والمساوئ، والدعاء إلى كل فلاح حتى صار نفس العجب، والعجب ما خرج عن الحد أشكاله، ونظائره فخفي سببه". اهـ.

- وقوله (عَجَبًا) أي غير مألوف يثير الدهش في القلوب، وهذه صفة القرآن عند من يتلقاه بحس واع، وقلب مفتوح، ومشاعر مرهفة، وذوق ذواق...عجبًا: ذو سلطان متسلط، وذو جاذبية غلابه، وذو وقع يلمس المشاعر ويهز أوتار القلوب.

١٧- القرآن بشرى للمؤمنين:

قال تعالى: ﴿طَسْرَ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يُتِمُّونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ١-٣)

قال قتادة-رحمه الله-: "جعل الله هذا القرآن هدى وبشرى للمؤمنين؛ لأن المؤمن إذا سمع القرآن حفظه ووعاه وانتفع به واطمأن إليه وصدق بموعود الله الذي وعده فيه، وكان على يقين من ذلك"

وقال مقاتل بن سليمان-رحمه الله-: (هُدًى) يعنى: بيان من الضلالة لمن عمل به، (وَبُشْرَى) لما فيه من الثواب. (لِلْمُؤْمِنِينَ): يعنى للمصدقين بالقرآن بأنه من الله ﷻ.

قال الإمام الطبري-شيخ المفسرين-رحمه الله-: "وأما البشرى فإنها البشارة، أخبر الله عباده المؤمنين جل ثناؤه أن القرآن لهم بشرى منه؛ لأنه أعلمهم بما أعد لهم من الكرامة عنده في جناته، وما هم إليه صائرون في معادهم من ثوابه. وذلك هو البشرى الذي بشر الله بها المؤمنين في كتابه؛ لأن البشارة في كلام العرب هي: إعلام الرجل الرجل ما لم يكن به عالمًا مما يسره من الخير قبل أن يسمعه من غيره أو يعلمه من قبل غيره." ثم قال-رحمه الله-: "وقوله (هُدًى) من صفة القرآن. يقول: هذه آيات القرآن بيان من الله بَيِّنَ به طريق الحق وسبل السلام. (وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول: وبشارة لمن آمن به، وصدق بما أنزل فيه بالفوز العظيم في المعاد". اهـ. بتصرف واختصار

١٨- القرآن كريم:

قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الواقعة ٧٥-٨٠)

قال الإمام ابن الجوزي -رحمه الله-: " (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) والكريم: اسم جامع لما يحمد، وذلك أن فيه البيان، والهدى، والحكمة، وهو معظم عند الله ﷻ ". اهـ.

وقال الإمام القرطبي -رحمه الله-: " (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ) ذكر المقسم عليه، أي أقسم بمواقع النجوم إن هذا القرآن قرآن كريم، ليس بسحر ولا كهانة، وليس بمفتري، بل هو قرآن كريم محمود، جعله الله تعالى معجزة لنبيه، وهو كريم على المؤمنين، لأنه كلام ربهم، وشفاء صدورهم، كريم على أهل السماء، لأنه تنزيل ربهم ووحيه. وقيل "كريم" أي: غير مخلوق. وقيل: (كَرِيمٌ) لما فيه من كريم الأخلاق ومعاني الأمور. وقيل: لأنه يكرم حافظه، ويعظم قارئه ". اهـ.

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: " (كَرِيمٌ): أي كثير الخير، غزير العلم، فكل خير وعلم إنما يستفاد من كتاب الله ويستنبط منه ". اهـ.

ووصف القرآن بالكريم في غاية الوصف، والكريم الشريف، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الشريفة. ومن كرم القرآن أن الله أنزل به ملكاً كريماً، على رسول كريم، إلى أمة كريمة، في ليلة كريمة مباركة.

١٩- القرآن مجيد:

قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ (البروج: ٢١، ٢٢)

وقال تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ﴾ (ق: ١)

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: " والمجيد أي العزيز، وقال: ليس شيء أحسن منه ولا أفضل منه.

وقال الإمام القرطبي -رحمه الله-: " وقوله (وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ) أي متناه في الشرف والكرم والبركة ".

وقال ابن كثير -رحمه الله-: " (الْمَجِيدِ) أي: الكريم العظيم ".

وقال العلامة القاسمي -رحمه الله-: " (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ) أي: سام، شريف، لا يُمَاتِلَ في أسلوبه وهدايته ".

- وقال السعدي -رحمه الله- في الآية السابقة: " أي: وسيع المعاني عظيمها، وكثير الوجوه، كثير البركات، جزيل المبرات، والمجد: سعة الأوصاف وعظمتها، حوى من الفصاحة أكملها، ومن الألفاظ أجزلها من المعاني أجملها ".

قال الرازي - رحمه الله - " في تفسيره ": والمجيد: العظيم، وقيل المجيد: هو كثير الكرم، وعلى الوجهين القرآن مجيد، أما على قولنا المجيد هو العظيم، فلأن القرآن عظيم الفائدة، ولأنه ذكر الله العظيم؛ وذكر العظيم عظيم، ولأنه لم يقدر عليه أحد من الخلق، وهو آية العظمة، يقال ملك عظيم إذا لم يكن يغلب، ويدل عليه قوله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) (الحجر: ٨٧) أي: الذي لا يقدر على مثله أحد ليكون معجزة دالة على نبوتك وقوله تعالى: (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ) (٢١) في لُوحٍ مَحْفُوظٍ (البروج: ٢١، ٢٢) أي: محفوظ من أن يطلع عليه أحد إلا باطلاعه تعالى فلا يبدل ولا يغير و (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت: ٤٢) فهو غير مقدور عليه فهو عظيم، وأما على قولنا المجيد هو: كثير الكرم فالقرآن كريم كل من طلب منه مقصوده وجده وأنه مغن كل من لاذ به وإغناء المحتاج غاية الكرم ويدل عليه هو أن المجيد مقرون بالحميد في قولنا إنك حميد مجيد، فالحميد هو المشكور والشكر على الإنعام والمنعم كريم فالمجيد هو الكريم البالغ في الكرم ". اهـ

٢٠- القرآن فيه الذكرى والموعظة والاعتبار:

قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (ق: ٤٥)

قال بعض السلف: هذا القرآن رسائل أتت من قبل ربنا ﷻ نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات، وتنفذها في الطاعات والسنن المتبعات ". اهـ.

٢١- القرآن حق:

قال تعالى: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (الإسراء: ١٠٥)

قال الشيخ السعدي - رحمه الله - في تفسير الآية السابقة: " (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ) أي: وبالحق أنزلنا هذا القرآن الكريم، لأمر العباد ونهيهم، وثوابهم وعقابهم، (وَبِالْحَقِّ نَزَلَ) أي: بالصدق والعدل والحفظ من كل شيطان رجيم. (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا) من أطاع الله بالثواب العاجل والآجل (وَنَذِيرًا) لمن عصى الله بالعقاب العاجل والآجل، ويلزم من ذلك بيان ما بشر به وأنذر.

قال الإمام ابن الجوزي - رحمه الله -: قوله تعالى (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ) الهاء كناية عن القرآن، والمعنى: أنزلنا القرآن بالأمر الثابت والدين المستقيم، فهو حق، ونزوله حق، وما تضمنه حق ".

وقال أبو سليمان الدمشقي - رحمه الله -: " (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ) " أي: بالتوحيد، (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ) يعنى: بالوعد والوعيد، والأمر والنهي ".

وقال الإمام الثعالبي - رحمه الله - في تفسيره: " وقوله سبحانه (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ) يعنى القرآن نزل بالمصالح والسداد للناس، و (وَبِالْحَقِّ نَزَلَ) يريد: بالحق في أوامره ونواهيه وأخباره ".

٢٢- القرآن لا شك فيه:

قال تعالى: ﴿آلَمْ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢، ١)

نقل ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه قال: (ذَلِكَ الْكِتَابُ) أي: هذا الكتاب

وقال ابن جريج: - رحمه الله-: " أن (ذَلِكَ) بمعنى "هذا" والعرب تقارن بين هذين الاسمين من أسماء الإشارة فيستعملون كلاً منهما مكان الآخر، وهذا معروف في كلامهم. و (الْكِتَابُ) المقصود به القرآن ومن قال: إن المراد بذلك الكتاب الإشارة إلى التوراة والإنجيل، كما حكاه ابن جرير وغيره، فقد أبعد النجعة، وتكلف ما لا علم له به. (لَا رَيْبَ فِيهِ) والريب هو الشك."

ومعنى الكلام: أن هذا الكتاب - وهو القرآن- لا شك فيه أنه نزل من عند الله، كما قال تعالى في " السجدة " (آلَمْ (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (السجدة: ٢، ١) وقال بعضهم: هذا خبر ومعناه النهي، أي: لا ترتابوا فيه.

ومن القراء من يقف على قوله (لَا رَيْبَ) ويبتدئ بقوله (فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) والوقف على قوله (فِيهِ) أولى " لأنه يصير قوله: (هُدًى) صفة للقرآن، وذلك أبلغ من كونه (فِيهِ هُدًى) قال القرطبي- رحمه الله- في الآية السابقة: " فكتاب الله تعالى لا شك ولا ارتياب، والمعنى: أنه في ذاته حق وأنه منزل من عند الله، وصفة من صفاته، غير مخلوق ولا محدث، وأن وقع ريب للكفار. اهـ

٢٣- القرآن برهان:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ (النساء: ١٧٤، ١٧٥)

قال الراغب- رحمه الله- في " مفرداته": البرهان: بيان للحجة، وهو فعلا مطلق. " الرجحان والثنيان، وقال بعضهم: هو مصدر بره يبره: إذا أبيض، يقال رجل أبره؛ أي أبيض. والبرهنة: مدة من الزمان، فالبرهان أوكد الأدلة، وهو الذي يقتضي الصدق أبداً لامحالة ". اهـ. قال الحافظ ابن كثير- رحمه الله- في " تفسير قوله تعالى (قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ) أي: قد جاءهم منه برهان عظيم، وهو الدليل القاطع للعدر، والحجة المزيله للشبهة ". اهـ.

وقال السعدي- رحمه الله-: " (بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ) أي: حجج قاطعة على الحق تبينه وتوضحه، وتبين ضده، وهذا يشمل الأدلة العقلية والنقلية، الآيات الأفقية والنفسية (سُتْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت: ٥٣) ". اهـ.

٢٤ - القرآن فرقان، يفرق الله به بين الحق والباطل، والهدى والضلال:

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١)

قال السعدي -رحمه الله- في تفسيره "٣/١٧٨ ٤": وقوله (تَبَارَكَ) أي: تعظم، وكملت أوصافه وكثرت خيراته، الذي من أعظم خيراته ونعمه، أن (نَزَّلَ الْفُرْقَانَ) أي القرآن الفارق بين الحلال والحرام، والهدى والضلال، وأهل السعادة من أهل الشقاوة" اهـ.

وقال تعالى: ﴿آلَ (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأُنزِلَ الْتَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ

(٣) مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأُنزِلَ الْفُرْقَانُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (آل عمران: ١-٤)

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسير الآية السابقة:

" وقوله (وَأُنزِلَ الْفُرْقَانُ) وهو الفارق بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والغي والرشاد، بما يذكره الله تعالى من الحجج والبيانات، والدلائل الواضحات، والبراهين القاطعات، ويبينه ويوضحه ويفسره ويقرره، ويرشد إليه وينبه عليه من ذلك " اهـ.

وقال الشيخ السعدي -رحمه الله-: " وأكمل الرسالة وختمها بمحمد ﷺ، وكتابه العظيم الذي هدى الله به الخلق، من الضلالات، واستنقذهم به من الجهالات، وفرق بين الحق والباطل، والسعادة والشقاوة، والصراط المستقيم، وطرق الجحيم، فالذين آمنوا به واهتدوا، حصل لهم به الخير الكثير، والثواب العاجل والآجل " اهـ.

٢٥- القرآن محفوظ:

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)

قال شيخ المفسرين الطبري -رحمه الله-: "يقول تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ) وهو القرآن (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزداد فيه باطل ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو من أحكامه وحدوده وفرائضه". اهـ.

قال العلامة الشنقيطي -رحمه الله- في "أضواء البيان": "وقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه هو الذي نزل القرآن العظيم، وأنه حافظ له من أن يزداد فيه أو ينقص منه شيء أو يبدل، وبين هذا المعنى في مواضع أخر كقوله: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (فصلت: ٤١، ٤٢)

- وقوله: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (القيامة: ١٦، ١٧) إلى قوله: "ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ" (القيامة: ١٩) وهذا هو الصحيح في معنى هذه الآية أن الضمير في قوله (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (يوسف: ١٢) راجع إلى الذكر الذي هو القرآن. وقيل الضمير راجع إلى النبي ﷺ كقوله (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (المائدة: ٦٧) والأول هو الحق كما يتبادر من ظاهر السياق.

كما قال تعالى: (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ) (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (البروج: ٢١، ٢٢)

- قال الشيخ السعدي -رحمه الله- في الآية السابقة:

" (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ) أي: القرآن الذي فيه ذكرى لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر من أراد التذكر، (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) أي: في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرفاً معنى من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدواً يجتاحهم". اهـ.

وقال -رحمه الله- في موضع آخر: "ولما بين تعالى كمال القرآن وجلالته، نزهته عن كل صفة نقص، وحماه وقت نزوله، وبعد نزوله من شياطين الإنس والجن فقال: (وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ) (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ) أي: لا يليق بحالهم ولا يناسبهم (وَمَا يَسْتَطِيعُونَ) ذلك. (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ) قد أبعدوا عنه، وأعدت لهم الرجوم لحفظه، ونزل به جبريل، أقوى الملائكة، الذي لا يقدر شيطان أن يقربه، أو يحوم حول ساحته وهذا معنى قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ).

اهـ. بتصرف

٢٦- القرآن حكيم:

قال تعالى: ﴿حَم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ (الزخرف: ١-٤)

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (يونس: ١)

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (لقمان: ١-٥)

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ (الإسراء: ٣٩)

وقال تعالى: ﴿يَس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (يس: ١-٥)

قال الإمام القرطبي-رحمه الله-: "و (الْحَكِيم) المحكم حتى لا يتعرض لبطلان وتناقض، كما قال تعالى: (أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ) وكذلك أحكم في نظمه ومعانيه فلا يلحقه خلل. وقد يكون (الْحَكِيم)، بمعنى الحكيم بكسر الكاف وصف القرآن بالحكمة، وهي وضع كل شيء في موضعه، وضع الأمر والنهي في الموضع اللائق بهما، ووضع الجزاء بالخير والشر في محلهاما اللائق بهما فأحكامه الشرعية والجزائية كلها مشتملة على غاية الحكمة".

فاحرص على النهل من حكمه العلية (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (البقرة: ٢٦٩)

٢٧- القرآن مبين واضح لا خفاء فيه:

قال تعالى: ﴿حَم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (الدخان: ١، ٢)

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة: ١٥)

٢٨- القرآن وصفه الله -تعالى- بأنه عزيز حفيظ:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (فصلت: ٤١)

وقال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ﴾ (ق: ٤)

٢٩- القرآن مهيمن على الكتب التي أنزلت من قبله:

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٤٨)

وقد نقل البخاري في صحيحه عن ابن عباس-رضي الله عنهما- عند قوله تعالى (وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) قال المهيمن: الأمين؛ فالقرآن أمين على كل كتاب قبله .

وكذا نقل ابن جرير الطبري-رحمه الله- في تفسيره نفس المعنى عن ابن عباس-رضي الله عنهما- وزاد في رواية (مُهَيْمِنًا) أي: شهيداً عليه .

ونقل سفيان الثوري عن أبي إسحاق السبيعي، عن التميمي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-: قال (وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) أي مؤتمناً عليه، وبنحو ذلك قال مجاهد والسدي وقتادة وابن جريج والحسن البصري وغير واحد من أئمة السلف.

ونقل العوفي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-: " أنه قال: (وَمُهَيْمِنًا) أي حاكماً على ما قبله من الكتب.

وقال ابن جريج - رحمه الله -: " القرآن أمين على الكتب المتقدمة، فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل ."

وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم (المهيمن) يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمتها، أشملها وأعظمها وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها. وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩)

٣٠- القرآن علي ذو مكانة عظيمة:

قال تعالى: ﴿حَمْدُ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ (الزخرف: ١-٤)

قال الحافظ ابن كثير-رحمه الله- في تفسير الآية السابقة: "وقوله تعالى: (وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ) بين شرفه في الملأ الأعلى، ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض، فقال تعالى (وَإِنَّهُ) أي: القرآن (فِي أُمِّ الْكِتَابِ) أي: اللوح المحفوظ (قاله ابن عباس، ومجاهد)، (لَدَيْنَا)؛ أي: عندنا، (قاله قتادة وغيره) (لَعَلِيَّ) أي: ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل، (قاله قتادة) (حَكِيمٌ) أي: محكم برئ من اللبس والزيغ.

وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الواقعة: ٧٧-٨٠) وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمِنْ شَاءِ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (عبس: ١١-١٦)

٣١- القرآن يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم:

قال تعالى حاكياً عن الجن: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى

طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأحقاف: ٣٠)

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: ١٧٠/٤: "وقوله: (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى) ولم يذكرنا عيسى؛ لأن عيسى ﷺ أنزل عليه الإنجيل فيه مواعظ وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم، وهو في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) أي من الكتب المنزلة على الأنبياء قبله، وقولهم (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) أي في الاعتقاد (وَالْيَ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) أي في العمليات". اهـ.

٣٢- القرآن تبيان:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ

شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩)

قال الإمام الطبري -رحمه الله- في تفسير الآية السابقة: "وقوله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) يقول: نزل عليك يا محمد هذا القرآن بياناً لكل ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب (وَهُدًى) من الضلال (وَرَحْمَةً) لمن صدق به، وعمل بما فيه من حدود الله، وأمره ونهي، فأحل حلاله، وحرم حرامه، (وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) يقول: وبشارة لمن أطاع الله وخضع له بالتوحيد، وأذن له بالطاعة، يبشره بجزيل ثوابه في الآخرة، وعظيم كرامته".

قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: "وقوله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) قال مجاهد: تبياناً للحلال والحرام. ونظيره قوله تعالى: (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) أي: في اللوح المحفوظ فإنه أثبت فيه ما يقع من الحوادث. وقيل: أي في القرآن، أي: ما تركنا شيئاً من أمر الدين إلا وقد دلنا عليه القرآن، إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يتلقى بيانها من الرسول عليه الصلاة والسلام، أو من الإجماع، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب، قال تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) وقال: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (النحل: ٤٤)

وقال: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (الحشر: ٧) فأجمل في هذه الآية وآية "النحل" ما لم ينص عليه مما لم يذكره، فصدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا ذكره، إما تفصيلاً وإما تأصيلاً". اهـ. بتصرف واختصار

٣٣- القرآن فيه تفصيل كل شيء:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ (الإسراء: ١٢)

قال الإمام القرطبي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية السابقة: "وقوله (وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا) أي من أحكام التكليف، وهو كقوله: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ) وكقوله: (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ). اهـ.

قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَىٰ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (١١٤) وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (الأنعام: ١١٤، ١١٥)

قال الشيخ السعدي-رحمه الله:-

"وقوله: (الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا) أي: موضحا فيه الحلال والحرام، والأحكام الشرعية، وأصول الدين وفروعه، الذي لا بيان فوق بيانه، ولا برهان أجلي من برهانه، ولا أحسن منه حكما ولا أقوم قيلا لأن أحكامه مشتملة على الحكمة والرحمة، وأهل الكتب السابقة، من اليهود والنصارى، يعترفون بذلك (يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ) ولهذا تواطأت الإخبارات (فَلَا) تشك في ذلك ولا (تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ). ثم وصف تفصيلها فقال: (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدًا) أي: صدقا في الأخبار، وعدلا في الأمر والنهي. فلا أصدق من أخبار الله التي أودعها هذا الكتاب العزيز، ولا أعدل من أوامره ونواهيه (لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) حيث حفظها وأحكمها بأعلى أنواع الصدق، وبغاية الحق، فلا يمكن تغييرها، ولا اقتراح أحسن منها، (وَهُوَ السَّمِيعُ) لسائر الأصوات، باختلاف اللغات على تفنن الحاجات. (الْعَلِيمُ) الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والماضي والمستقبل ". اهـ.

٣٤- القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (فصلت: ٤١، ٤٢)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره: ٤/ ١٠٢: "وقوله (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) أي منيع الجباب، لا يُرام أن يأتي أحدٌ بمثله (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) أي ليس للبطلان إليه سبيل لأنه منزل من رب العالمين ولهذا قال: (تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) أي حكيم في أقواله وأفعاله، حميد بمعنى محمود، أي في جميع ما يأمر به وينهى عنه فجميع أقواله وأفعاله محمودة العواقب ". اهـ. بتصرف

٣٥- القرآن أحسن الحديث:

قال سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه قال أصحاب رسول الله ﷺ: لو حدثتنا؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾، فقالوا: لو قصصت علينا فنزل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ فقالوا: لو ذكرتنا، فنزل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية.

والحديث: ما يحدث به المحدث. وسمى القرآن حديثاً، لأن رسول الله ﷺ كان يحدث به أصحابه وقومه وهو كقوله: (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ)، وقوله (أَقِمْنَ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجِبُونَ) وقوله (فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ)

وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ١٧، ١٨)

قال العلامة السعدي رحمه الله -في "تفسيره": "وقوله (فَبَشِّرْ عِبَادَ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ) وهذا جنسٌ يشمل كل قولٍ فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما ينبغي إيثاره مما ينبغي اجتنابه، فلهذا من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسنه، وأحسنه على الإطلاق: كلام الله وكلام رسوله، كما قال في هذه السورة: (اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا).

وقوله: (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ) لأحسن الأخلاق والأعمال (وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ) أي: العقول الزاكية، ومن لبهم وحزمهم، أنهم عرفوا الحسن من غيره، وآثروا ما ينبغي إيثاره، على ما سواه، وهذا علامة العقل، بل لا علامة للعقل سوى ذلك، فإن الذي لا يميز بين الأقوال، حسنهما، وقبيحهما، ليس من أهل العقول الصحيحة، أو الذي يميز، لكن غلبت شهوته عقله، فبقي عقله تابعاً لشهوته فلم يؤثر الأحسن، كان ناقص العقل " . اهـ.

٣٦- القرآن مستقيم، لا ترى فيه عوج:

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَا كُنِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ (الكهف: ١-٣)

وتأخيره عن الجار والمجرور، مع أن حقه التقديم عليه، ليتصل به قوله سبحانه: (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) أي: شيئاً من العوج، باختلال في نظمه وتناف في معانيه. أو زيغ وانحراف عن الدعوة إلى الحق؛ بل جعله مزيلاً للعوج، (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) أي: لم يجعل فيه اعوجاجاً ولا زيغاً ولا ميلاً بل جعله معتدلاً مستقيماً، ولهذا قال (قِيَمًا) أي: مستقيماً.

فنفي العوج يقتضي أنه ليس في أخباره كذب، ولا في أوامره ونواهيه ظلم ولا عبث.

٣٧- القرآن جاء بلسان عربي:

وهذا من فضل الله - تعالى - على الأمة المحمدية.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَنَزَّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ

عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء ١٩٢-١٩٥)

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: ٣/٣٥١:

"يقول تعالى مخبراً عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ (وَأَنَّهُ) أي: القرآن؛ (لَتَنَزِّلُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) أي: أنزله الله عليك وأوحاه إليك، (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) وهو جبريل عليه السلام، (عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) أي: نزل به ملك كريم أمين، ذو مكانة عند الله، مطاع في المأ والأعلى، (عَلَى قَلْبِكَ) يا محمد، سالمًا من الدنس والزيادة والنقص؛ (لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) أي: لتنذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه، وتبشر به المؤمنين المتبعين له.

وقوله: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) أي: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك (أَنزَلْنَاهُ) بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بينًا واضحًا ظاهرًا، قاطعًا للعدو، مقيمًا للحجة، دليلًا إلى المحجة". اهـ.

وعن مجاهد في قوله (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) قال: "بلسان قريش، ولو كان غير عربي ما فهموه". وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - رحمه الله -: "إن من أعظم نعم الله - تعالى - على عباده، وجسيم منته على خلقه، ما منحهم من فضل البيان الذي به عن ضمائر صدورهم يبينون، وبه على عزائم نفوسهم يدلون، فذل به منهم الألسن وسهل به عليهم المستصعب، فيه إياه يوحدون، وإياه به يسبحون ويقدسون، وإلى حاجاتهم به يتوصلون، وبه يتحاورون، فيتعارفون ويتعاملون". اهـ.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا

يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْهُو عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٤)

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير الآية السابقة: "لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته، وإحكامه في لفظه ومعناه، ومع هذا لم يؤمن به المشركون، نبه على أن كفرهم به كفر عناد وتعنت، كما قال تعالى: (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ) (الشعراء ١٩٨، ١٩٩). وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم، لقالوا على وجه التعنت والعناد: (لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ

ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) أي: لقالوا هلا أنزل مفصلاً بلغة العرب، وأنكروا ذلك وقالوا: أعجمي وعربي؟! أي: كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه". اهـ.

٣٨- القرآن حفظه سهل ميسر:

وهذا من خصائص القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ﴾ (القمر: ١٧)

قال القرطبي: -رحمه الله- في تفسيره: ١٧/٣٤: "أي سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه؛ فهل من طالب لحفظه فيُعان عليه؟!". اهـ.

وإن من وجوه إعجاز القرآن الكريم تيسير حفظه على جميع الألسنة حتى حفظه الأعجمي وغيره. وحفظ القرآن هو الأصل في تلقيه فلقد وصف الحق جل وعلا هذا القرآن بقوله: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) (العنكبوت: ٤٩)

وقال تعالى في الحديث القدسي الذي رواه الإمام مسلم: "إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَاهُ نَائِمًا وَيَقْظَانِ".

قال النووي-رحمه الله- في شرحه على مسلم: ١٧/٤٠٤:

فمعناه محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب، بل يبقى على مر الزمان". اهـ.

٣٩- القرآن سبب في زيادة الإيمان:

فمن أراد زيادة الإيمان فعليه بكتاب الله.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (الأنفال: ٢)

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾

(التوبة: ١٢٤)

يقول جندب رضي الله عنه كما في "نزهة الفضلاء: ١/٣٨٣: "كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حَزَّاءَةٌ^(١) فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً".

تنبيه:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في "مجموع الفتاوى: ٣/٤٠٣:

"يدخل في معنى هذا قوله ﷺ "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ". (رواه البخاري) أي تعليم حروفه ومعانيه جميعاً، بل تعلم معانيه هو المقصود الأول عن تعليم حروفه؛ وذلك هو الذي يزيد الإيمان". اهـ.

١- حَزَّاءَةٌ: جمع حَزْوٍ: وهو الذي قارب البلوغ، والتاء لتأنيث الجمع (النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/٣٨٠)

٤٠- القرآن سبب لنزول السكينة وغشيان الرحمة:

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ^(١) ".

وأخرج البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: " كان رجلٌ يقرأ سورة الكهف، وعنده فرسٌ مربوط بشطنتين ^(٢) فتغشته سحابة ^(٣) فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر له ذلك، فقال: " تلك السكينة تنزلت للقرآن ".

وفي رواية: قال أبو إسحاق: سمعتُ البراء رضي الله عنه يقول: قرأ رجل سورة الكهف، وله دابةٌ مربوطة، فجعلت الدابة تنفر فنظر الرجل إلى سحابةٍ قد غشيتها أو ضبابية، ففرع فذهب إلى النبي ﷺ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: " اقرأ فلان! فإنها السكينة نزلت للقرآن، أو عند القرآن ".

(رواه الإمام أحمد وهو في الصحيحة: ١٣١٣)

٤١- القرآن طمأنينة للقلب:

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨)

قال كثير من أهل العلم: " إن المراد بالذكر هنا هو القرآن، وهو أعلى أنواع الذكر، وذلك لقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩) ولقوله تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا). (طه: ١٢٥)

ولقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) (فصلت: ٤١)

نقل ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: ١٠٢/٤ عن الضحاك والسدي وقتادة - رحمهم الله - أنهم قالوا: " والمقصود بالذكر في الآية هو القرآن ". اهـ. بتصرف

فبقراءة القرآن يطمئن القلب وينشرح الصدر، وتسكن النفس، ويهدئ البال، ويرتاح خاطر.

٤٢- القرآن يفرج الله به الهم ويذهب به الغم:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان بسند صحيح من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " ما أصاب أحدا قطُّ همٌّ ولا حزنٌ، فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ^(٤)، ونور صدري وجلاء حزني، وذهب همي؛ إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحاً. فقيل: يا رسول الله، ألا نتعلمها، فقال: بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٨٢٢) (الصحيحة: ٣٥٢٨)

وقال محمد بن واسع - رحمه الله -: " القرآن بستان العارفين، فأينما حلوا منه حلوا في رياض نضرة ".

١ - من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه: أي من أخره عمله السيء وتفريطه في العمل الصالح، لم ينفعه في الآخرة شرف النسب (النهاية في غريب الحديث: ١/١٣٤)

٢ - شطنتين: تنثية شطن، وهو الحبل الطويل، وإنما ربطه بشطنتين، لقوته، وشدته

٣ - فتغشته سحابة: أي علته سحابة.

٤ - ربيع قلبي: جعل القرآن ربيع قلبي، لأن الإنسان يرتاح قلبه في الربيع من الأزمان ويميل إليه.

٤٣- القرآن حياة، وروح، ونور:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢)

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥-١٦)

وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (ابراهيم: ١)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ (النساء: ١٧٤، ١٧٥)

وسمى الله القرآن روحًا، لأن الحياة الحقيقية تتوقف عليه، وسماه نورًا: لأنه يضيء فيظهر الحق، ويزيل ظلمات الجهل، والشك، والشرك، والقلوب تشرق وتضيء به. فالقرآن هو النور الكاشف لجميع الظلمات القلبية، والمبدد لسائر الجهالات النفسية، والمبين لسائر الحقائق والأسرار الكونية.

وأخرج ابن حبان بسند حسن عن أبي ذر رضي الله عنه قال: "قلت يا رسول الله أوصني، قال عليك بتقوى الله؛ فإنه رأس الأمر كله، قلت: يا رسول الله زدني، قال: عليك بتلاوة القرآن؛ فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٢٢)

وفي رواية عند الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أوصيك بتقوى الله تعالى؛ فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماء، وذكرك في الأرض". (الصحيحة: ٥٥٥) (صحيح الجامع: ٢٥٤٣)

قال جندب رضي الله عنه: أوصيكم بتقوى الله، وأوصيكم بالقرآن فإنه نور بالليل المظلم، وهدى بالنهار، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقه، فإن عرض بلاء فقدم مالك دون دينك، فإن تجاوز البلاء، فقدم مالك ونفسك دون دينك فإن المخروب من خرب دينه، والمسلوب من سلب دينه، واعلم أنه لا فاقة بعد الجنة، ولا غنى بعد النار". (نزهة الفضلاء: ٢٥٨/١)

٤٤- القرآن شفاء:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٥٧)
وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ

بَعِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٤)

وقال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء: ٨٢)

والقرآن شفاء يستشفى به من علل الجسد والروح:

فهو شفاء للقلوب بإزالة الريب والشك وكشف الغطاء عن القلب من مرض الجهل فيرى بنور البصيرة طريق الحق الدال على الله تعالى وكذلك القرآن شفاء من الأمراض الجسدية وذلك عن طريق الرقى والتعوذات.

وقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها-: "أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بیده رجاء بركتها".

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "كنا في مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم^(١)، وإن نفرنا غيب، فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبئه برقية، فرقاه فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبناً، فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية أو كنت ترقى؟ قال لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب، قلنا: لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي أو نسأل النبي ﷺ فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال: وما كان يدرى أنها رقية؟ اقسمو واضربوا لي بسهم".

وأخرج ابن حبان عن عائشة -رضي الله عنها-: قالت: "إن رسول الله ﷺ دخل عليها وامرأة تعالجها، أو ترقئها، فقال عالجها بكتاب الله". (صحيح الجامع: ٣٩٦٩) (الصحيحة: ١٩٣١)

والقرآن أيضاً شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة، وهو أيضاً شفاء من الطمع والحسد والغل لأنه يزرع في القلوب الرضا، وهو أيضاً شفاء من الهوى ونزغات الشيطان، وغير ذلك من الأمراض القلبية والجسدية.

٤٥- القرآن مبارك:

قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (الأنعام: ٩٢)

وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (ص: ٢٩)

وهذا كتاب كثير خيره، دائم بركته ومنفعته، والبركة: هي الزيادة. ووصفة البركة لكثرة خيراته وسعة مبراته.

١ - سليم: أي لدغته حية، وكانت العرب تطلق على المريض كلمة سليم تفاؤلاً، كما يطلقون على الصحراء المهلكة مفازة، وكل هذا من باب التفاؤل.

٤٦- القرآن خير من الدنيا وما فيها:

إذا فرح أهل الدنيا بدنياهم، وأهل المناصب بمناصبهم، وأهل الأموال بأموالهم، فجدير أن يفرح حامل القرآن بكلام الله الذي لا توازيه الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل.

أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خَلَفَاتٍ^(١) عظام سمان؟ قلنا: نعم. قال: فتلاث آياتٍ يقرأ بهم أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خَلَفَاتٍ عظام سمان".

وأخرج مسلم عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: "خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصُفَّة^(٢)، فقال: أيكم يحب أن يغدو^(٣) كل يوم إلى بُطْحَانَ^(٤) وإلى العقيق فيأتي منه بناقتين كَوْمَاوَيْنِ^(٥) في غير إثم ولا قطع رحم؟ فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم [أو] يقرأ آيتين من كتاب الله ﷻ خير له من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير من أربع، ومن أعدادهن من الأبل".

٤٧- القرآن يرفع الله به أقوام ويضع آخرين:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث نافع بن عبد الحارث "أنه لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى؛ قال: ومن ابن أبزى؟ قال مولى من موالينا. قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله ﷻ وإنه عالم بالفرائض، قال عمر رضي الله عنه: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين".

٤٨- القرآن حجة لأقوام وحجة على آخرين:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "القرآن حجة لك أو عليك.....". الحديث

١ - خلفات: الواحدة خلفه وعشراء، وهي الحامل من النوق إلى أن يمضي عليها نصف أمدها، ثم هي عشراء، وهي من أعز أموال العرب. "النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٢٨/٢".

٢ - الصُفَّة: وأهل الصُفَّة: هم فقراء المهاجرين، ولم يكن لهم منزل يسكنونه، فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة، يسكنونه. "المصدر السابق: ٣٧/٣".

٣ - يغدو: يذهب أول النهار.

٤ - بطحان، والعقيق: من أودية المدينة (المصدر السابق: ١٣٥/١، ٢٧٨/٣).

٥ - كَوْمَاوَيْنِ: مثني كوما، بفتح الكاف، وسكون الواو، وبالمدة: هي الناقة العظيمة السنام (المصدر السابق: ٢١١/٤).

٤٩- القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ بُورَ (٢٩) لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: ٢٩، ٣٠)

قال القرطبي -رحمه الله- في تفسيره: ٣٤٥/١٤: وقوله (وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) فإن هذه الزيادة هي الشفاعة في الآخرة. اهـ

ففي هذا اليوم العصيب - يوم القيامة - يبحث الإنسان عمن يشفع له لينجو من عذاب النار وليدخل جنة الرحمن، وإذا به يجد القرآن شافعاً له مدافعاً عنه أمام الله تعالى حتى يأخذ بيده إلى الجنة.

-وأخرج الإمام مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه"، اقرأوا الزهراوين ^(١): البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان ^(٢) أو كأنهما فرقان ^(٣) من طير صواف ^(٤) تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة". قال معاوية بن سلام ^(٥): بلغني أن البطلة السحرة .

وأخرج ابن حبان والطبراني من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ: "القرآن شافع مشفع، وما حل ^(٦) مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره، ساقه إلى النار".

(السلسلة الصحيحة: ٢٠١٩) (الجامع: ٤٤٤٣)

وأخرج الإمام مسلم من حديث النواس بن سميان رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران، تحاجان عن صاحبهما".

وأخرج الإمام أحمد والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعه الطعام والشهوة [بالنهار] فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعه النوم بالليل فشفعني فيه، قال: "فيشفعان

(صحيح الترغيب والترهيب: ٩٨٤) (صحيح الجامع: ٣٨٨٢)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن سورة من القرآن ثلاثون آية، شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: (تبارك الذي بيده الملك)". (صحيح الجامع: ٢٠٩١)

وأخرج الترمذي وابن خزيمة والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول القرآن: يارب حلّه، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يارب زده، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يارب ارضى عنه، فيرضى عنه، فيقال له اقرأ، وارق، ويزداد بكل آية حسنة".

(صحيح الترمذي: ٢٩١٥) (صحيح الجامع: ٨٠٣٠)

١- الزهروان: المنيريان "النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٢/٣٢١"

٢- الغمامة والغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه، كالسحابة وغيرها "المصدر السابق: ٣/٤٠٣".

٣- فرقان: أي حزقان أو قطعتان "المصدر السابق: ٣/٤٤٤".

٤- صواف: باسطات اجنحتها في الطيران "المصدر السابق: ٣/٣٨٨".

٥- معاوية بن سلام: هو أحد رجال السند.

٦- ما حل: بكسر الحاء المهملة أي ساع، وقيل: خصم مجادل "المصدر السابق".

تنبيه: استفدت كثيراً من كتاب "بدائع البيان" للشيخ محمد بن رحاب

٥٠- القرآن وصية النبي- صلى الله عليه وسلم:-

والنبي ﷺ كان يُوصى أمته بالقرآن، وبعد عرض جملة من فضائل الفضائل يتضح لك جلياً لماذا كان النبي ﷺ يوصى بذلك.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن أبي أوفى ؓ وقد سئل: هل أوصى رسول الله ﷺ؟ قال: "أوصى بكتاب الله ﷻ".

والمراد بالوصية بكتاب الله: حفظه حساً ومعنى، فيكرم، ويُصان، ويُتبع ما فيه، فيُعمل بأوامره، ويجتنب نواهيه، ويدوم على تلاوته، وتعلمه، وتعليمه، ونحو ذلك" (فتح الباري: ٦٧/٩)

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "أوصيك بتقوى الله تعالى؛ فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله - تعالى - وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماء، وذكرك في الأرض".

(صحيح الجامع: ٢٥٤٣) (الصحيحة: ٥٥٥)

وأخرج ابن حبان من حديث أبي ذر ؓ، قال: قلت يا رسول الله أوصني، قال: أوصيك بتقوى الله؛ فإنه رأس الأمر كله، قلت يا رسول الله زدني، قال: "عليك بتلاوة القرآن؛ فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء". (صحيح الترغيب والترهيب ١٤٢٢)

وأخرج الإمام مسلم عن زيد بن أرقم ؓ قال: "قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً بماءٍ يُدعى خمًا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي".

وفي رواية عند مسلم عن زيد بن أرقم ؓ أن النبي ﷺ قال لهم في غدير خم-بين مكة والمدينة-: "... وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، [هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة] فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به". فحث على كتاب الله، ورغب فيه...".

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي أيوب الأنصاري عن عوف بن مالك-رضي الله عنهما- قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ وهو مرعوب فقال: أطيعوني ما كنت بين أظهركم، وعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله، وحرّموا حرامه".

فالنبي ﷺ وصى أمته فقال "وعليكم بكتاب الله" فلا ينبغي علينا أن نضيع وصية النبي ﷺ حتى لا يشكونا إلى رب العالمين فيقول: (يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) (الفرقان: ٣٠)

ثانياً: فضائل أهل القرآن:

١- أهل القرآن هم أهل الله وخاصته:

فمن إكرام الله تعالى لأهل القرآن أن جعلهم من أهله وخاصته، وبإلها من معية لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من متاع.

فقد أخرج الإمام أحمد والنسائي من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى أهلين من الناس؛ قالوا من هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن؛ هم أهل الله وخاصته ^(١)".

(ضعفه بعض أهل العلم، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٣٢) و(صحيح الجامع: ٢١٦٥)

٢- أهل القرآن هم خير الناس وأفضلهم:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه".

-وفي رواية عند الإمام أحمد من حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه". (صحيح الجامع: ٣٢٦٨) (الصحيحة ١١٧٣)

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في فتح الباري: ٦٩٤/٨: "لا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه وغيره؛ جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي، ولهذا كان أفضل، وهو من جملة من عني سبحانه وتعالى بقوله: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ). (فصلت: ٣٣) والدعاء إلى الله يقع بأمر شتى من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع، وعكسه الكافر المانع لغيره من الإسلام كما قال تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا) (الأنعام: ١٥٧). اهـ.

٣- أهل القرآن يحبهم الله - عز وجل -:

فقد أخرج الإمام مسلم عن عائشة - رضي الله عنها -: "أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية ^(٢)، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ "قل هو الله أحد" فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: "سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن: فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ أخبروه أن الله يحبه".

انتبه!!.... فإن قراءتك في المصحف سبب لمحبتك لله ورسوله.

فقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: "من سرّه أن يحبّ الله ورسوله؛ فليقرأ في المصحف". (صحيح الجامع: ٦٢٨٩)

١ - أهل الله وخاصته: أي أولياؤه المختصون به.

٢ - السرية: هي القطعة من الجيش، أو الجيش الصغير، وتسمى الكتيبة أيضاً، وهي في العادة نحو ٤٠٠ جندي.

٤- أهل القرآن هم أحق الناس بالإمامة في الصلاة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم، وأحقهم بالإمامة أقرؤهم".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء^(١)؛ فأقدمهم سلمًا، ولا يؤمّن الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكريمته^(٢) إلا بإذنه".

قال ابن القيم -رحمه الله- في كتابه "مفتاح دار السعادة: ١/٢٧٩": "إن النبي ﷺ قدم بالفضائل العلمية في أعلى الولايات الدينية وأشرفها، وقدم بالعلم بالأفضل على غيره فقدم في الإمامة تفضيله العلم على تقدم الإسلام والهجرة، ولما كان العلم بالقرآن أفضل من العلم بالسنة لشرف معلومه على معلوم السنة قدم العلم به، ثم قدم العلم بالسنة على تقدم الهجرة، وفيه من زيادة العمل ما هو متميز به، لكن إنما راعى التقديم بالعلم ثم بالعمل، وراعى التقديم بالعلم بالأفضل على غيره، وهذا يدل على شرف العلم وفضله، وأن أهله هم أهل التقدم إلى المراتب الدينية". اهـ.

٥- أهل القرآن هم أحق الناس بالإمامة والولاية:

فكما أن أهل القرآن هم أحق الناس بالإمامة في الصلاة، فهم كذلك أحق الناس بالإمامة والولاية فالله تعالى يرفعهم بهذا القرآن في الدنيا والآخرة وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث نافع بن عبد الحارث: أنه لقي عمر رضي الله عنه بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال ابن أبيزى، قال: ومن ابن أبيزى؟ قال مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله ﷻ، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين".

فالله تعالى يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع آخرين؛ فمن أراد الرفعة في الدنيا والآخرة فعليه بالقرآن.

٦- أهل القرآن لا يردون إلى أرذل العمر:

فقد أخرج الحاكم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال:

"من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر، وذلك قوله تعالى: (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (التين: ٦، ٥) قال: الذين قرؤوا القرآن". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٣٥)

١- وفي رواية لمسلم "فإن كانوا في الهجرة سواء فليؤمهم أكبرهم سنًا"

٢- التكرمة قال العلماء: "التكرمة": الفراش ونحوه مما يبسط لصاحب المنزل ويخص به، وهي بفتح التاء وكسر الراء.

٧- أهل القرآن يكرمون:

فقد أخرج أبو داود وابن حبان والدارقطني عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

" إن من إجلال الله تعالى: إكرام ذي الشئبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط ". (صحيح الجامع: ٢١٩٩)

-وأخرج الإمام مسلم من حديث تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " الدين النصيحة"، قلنا لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم ".
قال النووي-رحمه الله- في "آداب حملة القرآن":

وقوله "لله ولكتابه" ومن النصيحة لله تعالى ولكتابه إكرام قارئه وطالبه وإرشاده إلى مصلحته والرفق به ومساعدته على طلبه بما أمكن وتألف قلب الطالب، وإن يكون سمحاً بتعليمه في رفق متلطفاً به محرصاً له على التعلم، وينبغي له أن يذكره فضيلة ذلك ليكون سبباً في نشاطه وزيادة في رغبته. اهـ.

• ومن صور إكرام أهل القرآن:

أن عمر رضي الله عنه كان يقربهم منه ويرجع إليهم في الأمور الخاصة بالمسلمين.

فقد أخرج البخاري عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: "وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباباً.....".

• ومن صور إكرام أهل القرآن:

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، جئت لأهب لك نفسي. فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر إليها وصوبه، ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست، فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله؛ إن لم يكن لك بها حاجة فزوّجنيها، فقال له: هل عندك من شيء؟ فقال: لا والله يا رسول الله، قال اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً؟، فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئاً. قال: انظر ولو خاتماً من حديد، فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد، ولكن هذا إزاري، قال سهل: ماله رداء فلها نصفه، فقال رسول الله ﷺ: "ما تصنع بإزارك؟ إن لبسته لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك شيء" فجلس الرجل حتى طال مجلسه، ثم قام فراه رسول الله ﷺ مولياً؛ فأمر به فدعى، فلما جاء قال: "ماذا معك من القرآن؟" قال: معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا عدها. قال أتقرأهن عن ظهر قلبك؟ قال نعم. قال: اذهب، فقد ملكتها بما معك من القرآن".

• ومن صور إكرام أهل القرآن: أنهم يقدمون على غيرهم في اللحد عند الدفن:

فإن الله تعالى أعلى من شأن أهل القرآن وجعلهم أولى الناس بالإمامة في الصلاة، وأولى الناس بالإمامة والولاية، وكذلك هم أولى الناس بأن يقدموا عند الدفن على غيرهم إن قدر أن يدفن أكثر من شخص في قبر واحد.

- فقد أخرج البخاري من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد: - يعنى في القبر - في ثوب واحد، ثم يقول: "أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟" فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد؛ وقال: "أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة"، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم."

وقد بوب البخاري -رحمه الله- للحديث بقوله: "باب من يقدم في اللحد"

وقال ابن حجر -رحمه الله- في فتح الباري: ٢٥٢/٣: "قوله" باب من يقدم في اللحد"، أي: إذا كانوا أكثر من واحد، وقد دل حديث الباب على تقديم من كان أكثر قرآنًا من صاحبه، وهذا نظير تقديمه في الإمامة، وفيه فضيلة ظاهرة لقارئ القرآن؛ ويلحق به أهل الفقه والزهد وسائر وجوه الفضل". اهـ.

• ومن صور إكرام أهل القرآن: أن آباءهم يُحَلُّون يوم القيامة بحُلٍّ لا تقوم لها الدنيا.

فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم عن بريدة الأسلمي ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "...من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبسَ والداه يومَ القيامة تاجًا من نور، ضوءه مثل ضوء الشمس، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بما كسبنا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن...".

(صحيح الترغيب والترهيب ١٤٣٤) (الصحيحة ٢٨٢٩)

٨- صاحب القرآن دائمًا في تجارة رابحة، وأجر كبير:

وفي "صحيح البخاري ومسلم من حديث عقبة بن عمرو ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه".

وأخرج الإمام أحمد والنسائي من حديث تميم الداري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ بمائة آية في ليلة، كتب له قنوت ليلة". (الصحيحة: ٦٤٤) (صحيح الجامع: ٦٤٦٨)

وأخرج الإمام أحمد عن معاذ بن أنس ؓ قال رسول الله ﷺ: "من قرأ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) حتى يختتمها عشر مرات بنى الله له بيتًا في الجنة". (صحيح الجامع: ٦٤٧٢)

-وأخرج البيهقي في "شعب الإيمان" عن أبي سعيد الخدري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق". (صحيح الجامع: ٦٤٧١)

-وأخرج الحاكم والبيهقي في "شعب الإيمان" من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين".

(صحيح الجامع: ٦٤٧٠)

-وأخرج النسائي في الكبرى وابن حبان من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت".

(الصحيحة: ٩٧٢) (صحيح الجامع: ٦٤٦٤)

٩- أهل القرآن تحضرهم الملائكة لتستمع القرآن منهم:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مريد^(١) إذ جالت^(٢) فرسه فقرأ، ثم جالت أخرى، فقرأ ثم جالت أيضاً. قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى^(٣)، فقممت إليها فإذا مثل الظلة^(٤) فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها. قال: فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله بينما أنا البارحة في جوف الليل أقرأ في مريدي، إذ جالت فرسي فقال رسول الله ﷺ: "اقرأ ابن حضير" قال فقرأت ثم جالت أيضاً فقال رسول الله ﷺ: "اقرأ ابن حضير" قال: فأنصرفت وكان يحيى قريباً منها خشيت أن تطأه فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: "تلك الملائكة تستمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم". ورواه الحاكم باختصار وقال: صحيح على شرط مسلم، إلا أنه قال فيه: "فالتفت فإذا أمثال المصابيح مدلاة بين السماء والأرض، فقال: يا رسول الله ما استطعت أن أمضي فقال: تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن، أما إنك لو مضيت لرأيت العجائب". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٣١)

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى من حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن العبد إذا قام يصلي أتاه الملك فقام خلفه يستمع القرآن ويدنو، فلا يزال يستمع ويدنو حتى يضع فاه على فيه، فلا يقرأ آية إلا كانت في جوف الملك". (الصحيحة: ١٢١٣)

١- المريد بكسر الميم وإسكان الراء وبالباء الموحدة هو المكان الذي تحبس فيه الإبل والغنم وهو الموضع الذي يجعل فيه التمر ليجف أيضاً.

٢- جالت: أي وثبت.

٣- تطأ: أي تدوس على ولدى يحيى.

٤- الظلة: بضم الظاء المعجمة، وتشديد اللام، هي الغاشية أو الشيء الذي يظل الشخص وقيل السحابة.

١٠- أهل القرآن يغتاض ويكي منهم الشيطان:

فعندما يقرأ أهل القرآن القرآن ويمرون على آية فيها سجدة فيسجدون فيعتزل الشيطان يبكي ويتذكر خطيئته.

- ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: ياويله ".

- وفي رواية: " يا ويلى أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلى النار".

- وعند الطبراني في الكبير موقوف على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "إذا رأى الشيطان ابن آدم ساجداً صاح، وقال: ياويله: ياويل الشيطان، أمر الله ابن آدم أن يسجد وله الجنة فأطاع، وأمرني أن أسجد فعصيت فلى النار". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٤٠)

١١- أهل القرآن ربانيون لأنهم يعلمون الناس القرآن:

قال تعالى: ﴿كُونُوا رَٰبِّتَيْنِ بَمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: ٧٩)

١٢- أهل القرآن العاملون به ينفعون أنفسهم وينتفع بهم غيرهم:

وقد شبه النبي أهل القرآن بالثمرة الطيبة لها رائحة زكية وطعم حلو، وهذا دليل على انتفاعهم بالقرآن وانتفاع غيرهم بهم.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

" مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة^(١)؛ ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة؛ لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق - وفي رواية: الفاجر - الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق - وفي رواية: الفاجر - الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة^(٢)؛ ليس لها ريح وطعمها مر ".

١٣- أهل القرآن يرجون تجارة لن تبور:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: ٢٩، ٣٠)

ذكر ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: ٥٦٢/٣ عن قتادة - رحمه الله - أنه إذا قرأ هذه الآية قال: " هذه آية القراء ".

فأهل القرآن يوفيهم الله - تعالى - أجورهم فيعطيهم الأجر العظيم والثواب الجزيل، بل يزيدهم الله تعالى من فضله فيعطيهم الشفاعة في الآخرة ففي قوله (لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره: ٣٤٥/١ هذه الزيادة هي الشفاعة في الآخرة ". اهـ.

١ - الأترجة: بضم الهمزة والراء: ثمر جامع لطيب الطعم والرائحة، وحسن اللون

٢ - الحنظلة: واحد الحنظل، وهو نبات معروف شديد المرارة (تاج العروس: مادة "حنظل")

١٤- أهل القرآن لا يكتبون من الغافلين بل يكتبون من المطيعين:

فقد أخرج الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٣٦)

وأخرج ابن خزيمة والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ في ليلة مائة آية كتب من القانتين ^(١) ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٣٧) (الصحيحة: ٦٥٧)

١٥- أهل القرآن يحفظون من الزيغ والضلal:

فقد أخرج الحاكم والترمذي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-: " أن النبي ﷺ خطب في حجة الوداع، فقال: إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم، ولكن يرضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروا، إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا: كتاب الله وسنة نبيه ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٤٠)

-وأخرج الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض ". (صحيح الجامع: ٢٩٣٧)

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الطبراني في الكبير من حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال: " خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: أبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله؟ قالوا: بلى. قال: إن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبداً ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٨) (الصحيحة: ٧١٣)

-ومر بنا كذلك الحديث الذي رواه البزار والطبراني في الكبير من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: " كنا مع النبي ﷺ بالجحفة فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنى رسول الله، وأن القرآن جاء من عند الله؟ قلت: بلى، قال: أبشروا، فإن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تهلكوا، ولن تضلوا بعده أبداً ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٣٩) (صحيح الجامع: ٣٤)

وأخرج الإمام مسلم من حديث جابر رضي الله عنه في صفة حجة النبي ﷺ وفيه: أن ﷺ قال في خطبته في عرفات: ".....وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عنى فماذا أنتم قائلون؟" قالوا: نشهد أنك بلغت، وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: " اللهم أشهد، اللهم أشهد، اللهم أشهد... ".

١ - القانتين: أي المطيعين الخاضعين لله- تعالى-.

١٦ - صاحب القرآن يكتب من المقنطرين:

فقد أخرج أبوداود وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: "من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين"^(١). (الصحيحة: ٦٤٢) (صحيح الجامع ٦٤٣٩)

١٧ - صاحب القرآن يتحصل على جبال من الحسنات:

- فقد أخرج الترمذي بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: "ألم" حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف". (صحيح الجامع: ٦٤٦٩) (الصحيحة ٣٣٢٧)

- وفي رواية: "اقرأوا القرآن، فإنكم تؤجرون عليه، أما إني لا أقول (آلم) حرف، ولكن ألف عشر، ولام عشر، وميم عشر، فتلك ثلاثون".

(أخرجه الخطيب والديلمي عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً وهو في صحيح الجامع: ٦٦٠)

وعندما تقرأ: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) بدون البسملة، وهي سبعة وأربعون حرفاً، فلك بها سبعون حسنة وأربعمئة. فتصبح سورة الإخلاص بالبسملة: ستة وستون حرفاً، بكل حرف عشر حسنات، فتتوصل بقرأتها على ستمائة وستين حسنة. فإذا قرأت كل يوم ثلاثة أجزاء من القرآن، وبحساب أن لكل حرف عشر حسنات فهذا يعادل حوالي نصف مليون حسنة تقريباً يومياً.

بل انظر إلى هذا الفضل العظيم، وهو أنك تستطيع أن تتحصل على ملايين من الحسنات في أقل من دقيقة.

فقد أخرج الترمذي عن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: "من قرأ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) عدلت له ربع القرآن، ومن قرأ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) عدلت له ثلث القرآن". (صحيح الجامع: ٦٤٦٦)

١٨ - أهل القرآن الذين يعلمون الناس القرآن؛ أجرهم ممدود غير مقطوع:

فقد أخرج أبو سهل القطان في حديثه عن شيوخه عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من علّم آية من كتاب الله ﷻ كان له ثوابها ما تليت". (الصحيحة: ١٣٣٥)

١٩ - أهل القرآن يحفظون من فتنة المسيح الدجال:

فمن المعلوم أن فتنة الدجال أعظم فتنة في تاريخ البشرية. فتنة المسيح الدجال من أعظم الفتن التي تمر على البشرية منذ أن خلق آدم إلى قيام الساعة، وذلك لما أعطاه الله من خوارق العادات، والتي هي بمثابة الفتنة والاختبار للعباد.

-فقد أخرج البخاري عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: "كان سعد يأمر بخمس ويذكرهن عن النبي ﷺ أنه كان يأمر بهن - ثم ذكر فيها - وأعوذ بك من فتنة الدنيا - يعنى فتنة الدجال -".

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في "فتح الباري" (١٧٩/١) تعليقاً على هذا الحديث:

"وفي إطلاق الدنيا على الدجال إشارة إلى أن فتنة الدجال أعظم الفتن الواقعة في الدنيا". ولعظم الفتنة وخطرها كان كل نبي يحذر قومه من فتنته؛ لأنهم أعلم الناس بخطرته.

ففي أخرج ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "يا أيها الناس، إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض، منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم فتنة من الدجال، وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته من الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة".

(صحيح الجامع: ٧٨٧٥)

وقد أمر النبي ﷺ من أدركه أن يقرأ عليه فواتح سورة الكهف.

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"مَنْ أدركه منكم؛ فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف" - زاد أبو داود: "فإنها جواركم من فتنته".

وفي رواية أخرى عند ابن ماجه والترمذي بسند صحيح عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: "وإن من فتنته أن معه جنة ونازاً، فناره جنة، وجنته نار، فمن ابتلى بناره فليستغث بالله، وليقرأ فواتح الكهف".

(صحيح الجامع: ٧٨٧٥)

وجاءت بعض الروايات وبينت أن المقصود بفواتح سورة الكهف هي الآيات العشر الأول

ففي "صحيح مسلم" عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، غُصِمَ من الدجال^(١)".

١ - غُصِمَ من الدجال: أي يعصم من فتنته.

٢٠- أهل القرآن لا يعذبون في قبورهم:

فقد أخرج ابن مردويه والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر". (الصحيحة: ١١٤٠) (صحيح الجامع: ٣٦٤٣)

وأخرج الحاكم بسند حسن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "يؤتى الرجل في قبره فتؤتى رجلاه، فتقول رجلاه ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك، ثم يؤتى من قبل صدره-أو قال: بطنه- فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ سورة الملك، ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك فهي المانعة تمنع عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب".

-وأخرج البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: "إن النبي ﷺ كان إذا صلى صلاة- وفي لفظ: صلاة الغداة- أقبل علينا بوجهه، فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد "رؤيا" قصها، فيقول ما شاء الله، فسألنا يوماً فقال: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا. قال: لكن رأيت الليلة رجلين أتياني (فذكر الحديث وفيه) فانطلقت حتى أتينا على رجل مضجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هوى يهوى بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر ها هنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إلى الرجل حتى يصبح رأسه كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى، فقلت: سبحان الله! ما هذا؟ فقالا لي انطلق (فذكر الحديث وفيه) أما الرجل الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فهو رجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام على الصلاة المكتوبة".

ومفهوم المخالفة للحديث أن من يأخذ القرآن ويعمل به فهو بعيد كل البعد عن هذا العذاب. نسأل الله تعالى أن يجعل قبورنا روضة من رياض الجنة، وأن ينورها لنا ويفسح لنا فيها مد البصر، وأن يلهمنا حجتنا عند السؤال.

٢١- أهل القرآن يستقبلهم القرآن عند خروجهم من القبر، ويطمئنهم ويبشرهم بالخير الكثير والأجر العظيم:

فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم بسند حسن عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال: "كنت جالساً عند النبي ﷺ فسمعتة يقول: تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة، قال ثم مكث ساعة، ثم قال: تعلموا سورة البقرة وآل عمران؛ فإنها الزهراوان، يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك، القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والده حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بما كسبنا هذه، فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقرأ واصعد في درجة الجنة وغرفها، فهو في صعود مادام يقرأ هزاً كان أو ترتيلاً".

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب يقول لصاحبه: هل تعرفني؟ أنا الذي كنت أسهر ليلك وأظمئ هواجرِك وإنَّ كلَّ تاجرٍ من وراء تجارتِه، وأنا لك اليوم من وراء كلِّ تاجرٍ، فيُعْطَى الملكُ بيمينِه، والخلدُ بشمالِه، ويوضعُ على رأسِه تاجُ الوقارِ، ويُكسَى والداه حلتان لا تقوم لهما الدنيا وما فيهما، فيقولان: يارب أنى لنا هذا؟! فيقال لهما: بتعليم ولدكما القرآن، وإنَّ صاحب القرآن يُقال له يوم القيامة: أقرأ وأرقَ في الدرجاتِ، ورتِّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإنَّ منزلتك عند آخر آيةٍ معك". (الصحيحة: ٢٨٢٩)

وأخرج ابن ماجه عن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب ^(١)، فيقول: أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك".

وقد ذكر السندي -رحمه الله-: "إن القرآن كأنه يجيء على هذه الهيئة؛ ليكون أشبه بصاحبه في الدنيا، أو للتنبيه له على أنه كما تغير لونه في الدنيا؛ لأجل القيام بالقرآن كذلك القرآن، لأجله في السعي يوم القيامة حتى ينال صاحبه الغاية القصوى في الآخرة". (شرح السندي على سنن ابن ماجه: ٢٣٨/٤)

٢٢- أهل القرآن ينجيهم الله من عذاب يوم القيامة، ولهم الأمن في الدنيا والآخرة:

فالعبدُ يسعى بكل ما يستطيع لكي ينجو من عذاب النار، وقد كتب الله ﻻ لمن حفظ القرآن ابتغاء وجهه ألا تحرقه النار.

فقد أخرج الإمام أحمد والبيهقي في شعب الإيمان عن عصمة بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

"لو جمع القرآن في إهاب ^(٢) ما أحرقه الله بالنار". (صحيح الجامع: ٥٢٦٦) (الصحيحة: ٣٥٦٢)

وفي رواية عند الطبراني: "لو كان القرآن في إهاب ما أكلته النار". (صحيح الجامع: ٥٢٨٢)

وأخرج الدارمي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "اقرأوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن، وإن هذا القرآن مآدبة الله، فمن دخل فيه فهو آمن، ومن أحب القرآن فليبشر".

٢٣- أهل القرآن مأهم الجنة الرحمن:

فقد أخرج الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "سورة من القرآن ماهي إلا ثلاثون

آية، خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة، وهى تبارك". (صحيح الجامع: ٣٦٤٤)

٢٤- أهل القرآن يرتقون إلى أعلى درجات الجنان بقدر ما يحفظون من القرآن:

١- الشاحب: متغير اللون، والجسم العارض: من سفر أو مرض أو نحوهما (النهاية في غريب الحديث ٤/٨٢).
٢- الإهاب: الجلد.

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " يُقَالُ لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ، واصعد ^(١)؛ فيقرأ، ويصعد لكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه ^(٢) ". (صحيح الجامع: ٨١٢١)

وفي رواية: " يُقَالُ لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل ^(٣) كما كنت ترتل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرأها ". (الصحيحة: ٢٢٤٠) (صحيح الجامع: ٨١٢٢)

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في حديث له: "..... وإن صاحب القرآن يقال له يوم القيامة: اقرأ وارق في الدرجات، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية معك ". (الصحيحة: ٢٨٢٩)

وأخرج الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " يجيء القرآن يوم القيامة، فيقول: يارب حلّه، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يارب زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يارب أرض عنه، فيرضى عنه، فيقول: اقرأ، وارق، ويزاد بكل آية حسنة ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٢٥) (صحيح الجامع ٨٠٣٠)

قال أبو سليمان الخطابي-رحمه الله-في "معالم السنن": " جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة، فيقال للقارئ: ارق في الدرج على قدر ماكنت تقرأ في آي القرآن ". فمن استوفى جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءاً منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك؛ فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة.

٢٥- أهل القرآن في أعلى الجنان مع السفرة الكرام:

فحين يفتخر أهل الدنيا بانتسابهم إلى العظماء والوجهاء والأغنياء، فإن حافظ القرآن يفتخر بأنه سيكون مع السفرة الكرام البررة الذين اختارهم الله ﷻ، وشرفهم بأن تكون بأيديهم الصحف المطهرة، كما قال رب العالمين في كتابه الكريم: ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ^(١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ^(١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ^(١٥) ﴾

(عبس: ١٣-١٥)

وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة-رضي الله عنها-قالت: قال رسول الله ﷺ: " الماهر ^(٤) بالقرآن مع السفرة ^(٥) الكرام البررة ^(٦)، والذي يقرأ القرآن وَيَتَتَعَتَعُ ^(٧) فيه وهو عليه شاق له أجران ".

١- اقرأ واصعد: وفي رواية " اقرأ وأرقى ": أمر من الرقى وهو الصعود كما جاء مفسراً في الرواية الأخرى والصعود يكون في درج الجنة بقدر ما يحفظ الإنسان من آي القرآن.

٢- قال ابن حجر الهيتمي كما في "الفتاوى الحديثة" (١٥٦): الخبر المذكور خاص بمن يحفظه عن ظهر قلب، لا بمن يقرأ بالمصحف، لأن مجرد القراءة في الخط لا يختلف الناس فيها ولا يتفاوتون قلة وكثرة، وإنما الذي يتفاوتون فيه كذلك هو الحفظ عن ظهر قلب فلهذا تفاوتت منازلهم في الجنة بحسب تفاوت حفظهم.

٣- ورتل: الترتيل هو القراءة بتؤدة وتمهل.

٤- ماهر به: أي مجيد لحفظه، فهو لا يتوقف ولا تشق عليه القراءة لجودة حفظه (أنظر شرح النووي على مسلم: ٣٣٢/٦).

٥- مع السفرة: أي الملائكة الرسل إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام. والمعنى أنه يكون معهم في منازلهم في الآخرة. ويقول القاضي عياض-رحمه الله-: يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقاً للملائكة السفرة لاتصافه بصفاتهم من حمل كتاب الله، ويحتمل أن يراد: أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم ". (شرح النووي: ٣٣٢/٦)

٦- البررة: أي المطيعون.

٧- يتتعتع فيه: أي يتردد في قراءته.

وعند البخاري بلفظ: " مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن ويتعاهده وهو عليه شديد له أجران " .

والماهر بالقرآن أجره أفضل، وأما الذي يتتبع فيه، فهو الذي يتردد فيه لضعف حفظه، فله أجران: أجر القراءة وأجر بتتبعه في قراءته ومشقته " (انظر شرح النووي على مسلم: ٣٣٢/٦)

وقال القاضي وغيره من العلماء: وليس معناه الذي ينتتبع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر أفضل وأكثر أجراً لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة، ولم يذكر هذه المنزلة لغيره، وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتناؤه حتى مهر فيه. والله أعلم .

وبعد هذا الشرف والتكريم الذي ناله أهل القرآن يتضح لنا قول الحبيب المصطفى ﷺ الثابت في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه ﷺ قال: " لا حسد^(١) إلا على اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل^(٢) وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه^(٣) آناء الليل وآناء النهار " .

وأخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: " لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: يا ليتني أُوتيتُ مثل ما أُوتِيَ فلان، فعملتُ مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: يا ليتني أُوتيتُ مثل ما أُوتِيَ فلان فعملتُ مثل ما يعمل " .

فهيا لنكون من أهل القرآن، وهذه هي التجارة مع الله المضمونة الربحية، والتي يعطى الله عليها من فضله الكريم وعطائه الذي لا ينفد .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: ٢٩، ٣٠)

مر بنا قول قتادة -رحمه الله- أنه قرأ هذه الآية فقال: " هذه آية القراء " . (تفسير ابن كثير: ٥٦٢/٣)

١- لا حسد: والحسد هو: تمنى زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام، وأما الحسد المذكور في هذا الحديث: هو الغبطة، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه (شرح النووي: ٩٦/٦، وفتح الباري لابن حجر: ٢٠٠/١).

٢- آناء: أي الساعات.

٣- ينفقه: والمقصود هنا هي الصدقة، كما جاء في بعض الروايات "يتصدق به".

ثالثاً: فضائل بعض السور والآيات:

١ - فضل سورة الفاتحة:

أخرج الترمذي وابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج على أبي بن كعب فقال: "يا أبي! وهو يصلي، فالتفت أبي فلم يجبه، وصلي أبي فخفف، ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: "وعليك السلام، ما منعك يا أبي أن تجيبني إذ دعوتك؟". فقال: يا رسول الله! إني كنت في الصلاة: "أفلم تجد فيما أوحى الله إلي أن (اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) (١)؟" قال: بلى، ولا أعود إن شاء الله، قال "أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، قال: نعم يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: "كيف تقرأ في الصلاة؟". قال: فقرأ (أم الكتاب) فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أُعطيته". (الصحيحة: ١٤٩٩) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٥٣)

-وفي رواية: "ما أنزل الله في التوراة، ولا في الإنجيل، مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدى ما سأل". (صحيح الجامع: ٥٥٦٠)

وأخرج ابن حبان من حديث أنس رضي الله عنه قال: "كان النبي في مسير فنزل، ونزل رجل إلى جانبه، قال: فالتفت النبي ﷺ فقال: "ألا أخبرك بأفضل القرآن؟" قال: بلى، فتلا عليه (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٥٤)

وأخرج البخاري من حديث عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: "كنت أصلي بالمسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، ثم أتيتُه فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي فقال: ألم يقل الله تعالى (اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ) ثم قال: ألا أعلمك سورة هي أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله إنك قلت: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (٢) هي السبع المثاني (٣) والقرآن العظيم الذي أوتيته".

١- الانفال: ٢٤.

٢- الحمد لله رب العالمين: أي الفاتحة.

٣- أي السبع المثاني: وهي الفاتحة وسميت بذلك؛ لأنها تنثني في كل صلاة أي تعاد، أو لأنها تشتمل على ثناء ودعاء.

• لا تصح الصلاة إلا بفاتحة الكتاب:

وهذا يدل على عظيم فضلها، فهي ركن من أركان الصلاة.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عباد بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب "

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: " من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج، هي خداج، غير تمام "

والصلاة الناقصة لا تسمى صلاة حقيقة.

وفي تمام هذا الحديث عند مسلم: قال أبو السائب: قلت لأبي هريرة رضي الله عنه: إني أكون أحياناً وراء الإمام؟ قال: فغمز أبو هريرة رضي الله عنه ذراعي وقال: " أقرأ بها في نفسك "

• وسمى الله - تعالى - فاتحة الكتاب صلاة:

كما جاء في الرواية التي أخرجها الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " قال الله تعالى: قسمت الصلاة^(١) بيني وبين عبدى نصفين، ولعبدى ما سأل - وفي رواية: " فنصفها لي ونصفها لعبدي - فإذا قال العبد: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، قال الله: حمدني عبدي. فإذا قال: (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) قال: أثنى على عبدي. فإذا قال: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) قال: مجدني عبدي. وإذا قال (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدى ما سأل، فإذا قال: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ "، قال: " هذا لعبدي، ولعبدى ما سأل "

وسمى فاتحة الكتاب صلاة أي أنها أعظم ركن في الصلاة، وبدونها تبطل الصلاة، وهو كقول النبي ﷺ " الحج عرفة " أي أعظم أركان الحج عرفه، وبدونه يبطل الحج.

ومعنى قَسَمْتُهَا بين الله وبين عبده نصفين؛ لأن نصفها ثناء على الله - تعالى - وتعظيم لجلاله، ونصفها دعاء ومسألة من العبد والله أعلم.

١ - قوله " قسمت الصلاة " يعنى القراءة بدليل أنه فسر بها، وقد تسمى القراءة صلاة لوقوعها فيها وكونها جزء من أجزائها كما في قوله تعالى: (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) (الإسراء: ١١٠)

• سورة الفاتحة هي الشافية:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "انطلق نفرٌ من أصحاب النبي ﷺ في سفرةٍ سافروها، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتهم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكونَ عند بعضهم شيء؟ فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهطُ إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم، والله إنني لأرقي لكن والله لقد استصفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعلاً، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه ويقرأ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فآمنما نشط من عقال، فانطلق يمشى وما به قلبه^(١) قال: فأوفوهم جُعْلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقساموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي رسولَ الله ﷺ فنذكر له الذي كان فننظر ماذا يأمرنا، فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له فقال: "وما يدريك أنها رقية؟"، ثم قال: "قد أصبتم اقساموا لي معكم سهماً"، فضحك النبي ﷺ، وفي لفظ لمسلم: "فتبسم"، وفي لفظ للبخاري: أنه قرأ بأَم الكتاب"، وقال: "فأمر لنا بثلاثين شاة، وسقانا لبناً"، وفي لفظ للبخاري "إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله"، وفي لفظ لمسلم: "فجعل يقرأ أم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبراً الرجل".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "كنا في مسير لنا، فنزلنا فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم^(٢)، وإن نفرنا غيب، فهل منكم راقٍ؟ فقام معها رجلٌ ما كنا نأبئه برقية، فرقاه فبراً، فأمر لنا بثلاثين شاة وسقانا لبناً، فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية أو كنت ترقى؟ قال لا، ما رقيت إلا بأَم الكتاب، قلنا: لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي أو نسأل النبي ﷺ فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال: وما كان يدريه أنها رقية؟ اقساموا واضربوا لي بسهم".

٢- فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة:

أخرج الإمام مسلم من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: "بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً^(٣) من فوقه، فرفع رأسه فقال: "هذا بابٌ من السماء فُتِحَ اليوم، ولم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أُوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته^(٤)".

١- وما به قلبه: أي وما به ألم أو علة "النهاية في غريب الحديث لابن الأثير".

٢- سليم: أي لذيغ، وإنما يطلقون على اللذيغ سليم تفاعلاً بالشفاء.

٣- النقيض: هو صوت كصوت الباب إذا فتح (النهاية: ١٠٧/٥) (شرح مسلم للنووي: ٩١/٦).

٤- أعطيته: أي أعطيت مقتضاه، والمرجو: أن هذا لا يختص بالنبي ﷺ بل يعمه وأمته. (شرح النسائي للسندي: ١٣٩/٢).

٣- فضل سورة البقرة وآل عمران:

- أخرج الإمام مسلم من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين ^(١): البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان ^(٢)، أو كأنهما فرقان ^(٣) من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة ". قال معاوية بن سلام ^(٤): بلغني أن البطلة السحرة.

ورواه الحاكم من حديث بريدة رضي الله عنه ولفظه: " تعلموا البقرة وآل عمران؛ فإنهما الزهراوين تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٦٦)

وأخرج الإمام مسلم عن النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدّمه ^(٥) سورة البقرة وآل عمران، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهم بعد: قال كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان. بينهما شرق ^(٦)، أو كأنهما حزقان من طير صواف تحاجان ^(٧) عن صاحبهما ".

- وأخرج ابن ماجه والطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، في ثلاث سور من القرآن، في " البقرة "، " آل عمران "، و " طه " ^(٨).

(صحيح الجامع: ٩٧٩)

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان عن أنس رضي الله عنه قال: " وكان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا " يعني عَظُمَ "

- وفي رواية: " يُعَدُّ فينا عظيماً ". وفي أخرى " عُدَّ فينا ذا شأن ".

١ - الزهراوين: أطلق عليهما الزهراوين لنورهما وهدايتهما، وعظم أجرهما.

٢ - الغمامة والغياية: وهي كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة ونحوها " انظر النهاية في غريب الحديث للأثير: ٣/٣٨٩.

٣ - فرقان: أي قطيعان أو جماعتان، الواحد فرّق، أي جماعة " المصدر السابق: ٣/٤٤٠.

٤ - معاوية بن سلام: هو أحد رجال السند.

٥ - تقدمه: بفتح التاء وضم الدال، أي: تتقدمه.

٦ - بينهما شرق: هو بفتح المعجمة، وقد تكسر، وبسكون الراء بعدهما قاف: أي: بينهما فرق يضي.

٧ - تحاجان: بضم التاء وتشديد الجيم، أي: تجادلان عن صاحبهما وتدافعان عنه، وهو التالي لهما، العامل بهما.

٨ - قال القاسم أبو عبد الرحمن - راوي الحديث عن أبي أمامة -: فالتمست في البقرة فإذا هو في آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم). وفي آل عمران (الله لا إله إلا هو الحي القيوم). وفي طه (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) (الصحيحة: ٦/٧٤٤)

٤- فضل سورة البقرة:

-أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفر - وفي رواية: ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة".

-وعند الحاكم موقوفاً على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "اقرأوا سورة البقرة في بيوتكم، فإن الشيطان لا يدخل بيتاً يقرأ فيه سورة البقرة". وهذا الحديث له حكم الرفع لأنه لا يُقال من قبيل الرأي.

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٦٣) (صحيح الجامع: ١١٧٠)

وفي رواية: "إن لكل شيء سناماً، وسنام القرآن: "سورة البقرة"، وإن الشيطان إذا سمع سورة "سورة البقرة" تُقرأ، خرج من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة". (الصحيحة: ٥٨٨)

وأخرج البخاري ومسلم أن أسيد بن حضير رضي الله عنه بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس، فسكت فسكتت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجتزته رفع رأسه إلى السماء، حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ قال "اقرأ يا بن حضير، اقرأ يا بن حضير، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها، فقال النبي ﷺ وتدرى ما ذاك؟، قال: لا، قال: تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم".

وأخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث أسيد بن حضير رضي الله عنه قال: "قلت يا رسول الله بينما أنا أقرأ الليلة سورة البقرة إذ سمعت وجبة من خلفي فظننت أن فرسي انطلق، فقال رسول الله ﷺ: "اقرأ أبا عتيك" فالتفت فإذا مثل المصباح مدلى بين السماء والأرض، ورسول الله ﷺ يقول: "اقرأ أبا عتيك" فقال: يا رسول الله فما استطعت أن أمضي فقال رسول الله ﷺ: "تلك الملائكة نزلت لقراءة سورة البقرة أما إنك لو مضيت لرأيت العجائب". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٦٤)

٥- فضل خواتيم سورة البقرة:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي مسعود البدرى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه" وفي لفظ: "الآيتان من آخر سورة البقرة، من قرأهما في ليلة كفتاه^(١)".

-وأخرج الترمذي والنسائي والحاكم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، وهو عند العرش، وأنه أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن في دار ثلاث ليالٍ فيقر بها شيطان".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٦٧: صحيح الجامع ١٧٩٩)

١ - كفتاه: قيل كفتاه المكروه تلك الليلة، وقيل كفتاه من قيام الليل. وقيل: كفتاه من الشيطان تلك الليلة وقيل حسبه بهما فضلاً وكفتاه أجراً وثواباً، وقيل كفتاه الجميع.. والله اعلم... انظر شرح النووي على مسلم: ٣٤٠/٦

وعند الحاكم بلفظ: "ولا تقرآن في بيت فيقر به شيطان ثلاث ليال".

وأخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "لما أُسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدره المنتهى وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها...، فأعطى رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطى الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحّمات^(١)".

وأخرج الإمام أحمد والبيهقي من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أُعطيَتْ هذه الآيات من آخر سورة البقرة، من كنزٍ تحت العرش، لم يُعْطها نبيٌّ قبلي". (صحيح الجامع: ١٠٦٠) (الصحيحة: ١٤٨٢) وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "اقرأوا هاتين الآيتين اللتين في آخر سورة البقرة، فإن ربي أعطانيهما من تحت العرش". (صحيح الجامع: ١١٧٢)

• ومن فضائل أواخر سورة البقرة:

ما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث طويل وفيه: "...فأنزل الله ﷻ (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) قال: نعم. (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا) قال: نعم. (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) قال: نعم. (وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) قال: "نعم".

وفي لفظ لمسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن الله تعالى قال في هذه المواضع: "قال: قد فعلت".

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:

"بينما جبريل عليه السلام جالس عند النبي ﷺ إذ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه إلى السماء فقال: "إن هذا الباب من السماء قد فُتِحَ، ما فُتِحَ قطُّ، قال فنزل منه ملك، قال فإن هذا الملك قد نزل، ما نزل إلى الأرض قط، قال: فجاء منه الملك إلى رسول الله ﷺ فسلم عليه وقال: يا محمد! أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتْهنَّ نبيٌّ قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ حرفاً منهما إلا أوتيته".

١ - المقحّمات: الذنوب العظام التي تقم أصحابها في النار: أي تلقيهم فيها (النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٩/٤).

٦- فضل آية الكرسي:

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يا أبا المنذر أتدرى أي آية من كتاب الله معك أعظم؟" قلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر أتدرى أي آية من كتاب الله معك أعظم؟" قال: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ"^(١) قال: فضرب في صدري وقال: "لِيَهْنِكَ"^(٢) العلم أبا المنذر".

وأخرج النسائي وابن حبان بسند صحيح من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "من قرأ آية الكرسي، دبر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت". (صحيح الجامع: ٦٤٦٤) وفي رواية: من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة، لم يحل بينه وبين دخول الجنة إلا الموت". (الصحيحة: ٩٧٢)

وأخرج الحاكم وابن حبان من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أنه كان لهم جرير^(٣) فيه تمر، وكان مما يتعاهده فيجده ينقص فحرسه ذات ليلة، فإذا هو بدابة كهينة الغلام المحتلم، قال فسلم فرد عليه السلام، فقلت ما أنت، جن أم إنس؟ قال: "جن، فقلت: ناولني يدك فإذا يد كلب، وشعر كلب، فقلت: هذا خلق الجن فقال: قد علمت الجن أن ما فيهم من هو أشد مني فقلت: ما يحملك على ما صنعت؟ فقال: بلغني أنك تحب الصدقة فأحببت أن أصيب من طعامك فقلت ما الذي يحرزنا منكم؟ قال: هذه الآية: آية الكرسي، قال: فتركه وغدا أبي إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: "صدق الخبيث".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٧٠)

وأخرج الترمذي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه كانت له سهوة^(٤) فيها تمر، وكانت تجيء الغول فتأخذ منه، قلت: فذكر الحديث إلى أن قال: فأخذها يعني في الثالثة فقال ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني ذاكرك لك شيئاً آية الكرسي اقرأها في بيتك فلا يقربك شيطان ولا غيره، فجاء إلى النبي ﷺ قال: "ما فعل أسيرك؟" قال: فأخبره بما قالت، قال: "صدقته وهي كذوب".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٦٩) (صحيح الترمذي: ٢٨٨٠)

١- البقرة: ٢٥٥.

٢- لِيَهْنِكَ العلم: أي ليكن العلم هنئاً لك.

٣- الجرير: بفتح الجيم وكسر الراء: هو بيدر التمر الذي يجفف منه.

٤- السهوة: بفتح السين المهملة: هي الطاق في الحائط يوضع فيه الشيء وقيل هي الصفة وقيل المخدع بين البيتين، وقيل: هو شيء شبيه بالرف، وقيل: بيت صغير كالخزانة الصغيرة. قال المملي- رحمه الله -: كل واحد من هؤلاء يسمى السهوة، ولفظ الحديث يحتمل الكل، لكن ورد في بعض طرق هذا الحديث ما يرجح الأول.

٥- الغول: بضم الغين المعجمة: هو شيطان يأكل الناس، وقيل: هو من يتلون من الجن.

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ، فجعل يحثو^(١) من الطعام، فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال إني محتاج، وعلى عيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه فأصبحت، فقال النبي ﷺ: "يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟" قال: قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله، قال: "أما إنه كذبك وسيعود"، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ: إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ؛ قال: دعني فإنني محتاج، وعلى عيال، لا أعود، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: "يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك؟ قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله. قال: "أما إنه كذبك وسيعود" فرصدته الثالثة، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات، إنك تزعم ألا تعود، ثم تعود! قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هن؟ قال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) (البقرة: ٢٥٥) حتى تخطم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح... فخليت سبيله، فقال لي رسول الله ﷺ: "ما فعل أسيرك البارحة؟" قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله، قال: ماهي؟ قلت: قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تخطم الآية: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير. قال النبي ﷺ: "أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليل يا أبا هريرة؟" قال: لا: قال "ذاك شيطان".

٧- فضل خواتيم سورة آل عمران:

أخرج ابن حبان في صحيحه من حديث عبيد بن عمير رضي الله عنه أنه قال لعائشة - رضي الله عنها -: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ؟ قال: فسكتت، ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي، قال: "يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي" قلت: والله إني أحب قريبك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت: وكان جالسا فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى حتى بل الأرض فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله تبكي، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: "أفلا أكون عبدا شكورا؟ لقد نزلت على الليلة آية: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) كُلَّهَا^(٢)".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٦٨)

١- يحثو: يسكون الحاء وبعدها ثاء مثلثة، أي: يأخذ.

٢- الآية (آل عمران: ١٩٠).

٨- فضل السبع الطوال:

أخرج الإمام أحمد والحاكم عن عائشة -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: "من أخذ السبع الأول^(١) فهو خير^(٢)". (الصحيحة: ٢٣٠٥)

وأخرج الإمام أحمد عن واثلة بن الأسقع ؓ أن رسول الله ﷺ قال: "أُعْطِيَتْ مكانَ التوراةِ (السبع الطوال)، وأُعْطِيَتْ مكانَ الزبور (المئين)^(٣)، وأُعْطِيَتْ مكانَ الإنجيل (المثاني)^(٤) وفُضِّلَتْ ب (المفصل)^(٥)". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٥٧)

٩- فضل سورة الكهف:

أخرج الحاكم والبيهقي في الشعب من حديث أبي سعيد الخدري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة؛ أضاء له من النور ما بين الجمعتين". (صحيح الجامع: ٦٤٧٠)

وفي رواية عند البيهقي بلفظ: "من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة؛ أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق". (صحيح الجامع: ٦٤٧١)

- وأخرج الحاكم من حديث أبي سعيد الخدري ؓ عن النبي ﷺ قال: "من قرأ الكهف كما أنزلت كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه، ومن توضأ ثم قال: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، كتب في رق، ثم طبع بطابع، فلم يكسر إلى يوم القيامة". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٧٣)

- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي الدرداء ؓ: أن نبي الله ﷺ قال: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال" وفي رواية "من آخر سورة الكهف"^(٦).

- وفي رواية عند أبي داود والنسائي: "عصم من فتنة الدجال".

• والسكينة تنزل بقراءة سورة الكهف:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث البراء ؓ قال: "كان رجل^(٧) يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط بشطنتين^(٨) فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة^(٩) تنزل بالقرآن".

١- السبع الأول: يعنى السور السبع الطوال من أول القرآن وهي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال والتوبة - باعتبار أنهما سورة واحدة.

٢- خير: عالم

٣- المنون: وهي السور التي تلي السبع الطوال، إلى آخر سورة السجدة، ولعلها سميت بذلك لأن كل سورة منها يزيد على مائة آية فأكثر.

٤- المثاني: وهي السور التي تلي المنين، من أول سورة الأحزاب إلى سورة ق، أو أول سورة الحجرات.

٥- المفصل: والمراد به السور التي كثرت فصولها، وهي من سورة الحجرات، إلى آخر القرآن على الصحيح. (انظر فتح الباري: ٧٤/٩)

٦- ورواية "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف" هي المحفوظة، ويشهد لها حديث النواس بن سمعان -رضي الله عنه. وفيه "فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف.." وهو مخرج في صحيح مسلم.

٧- كان رجل: قيل هو أسيد بن حضير (انظر شرح النووي على صحيح مسلم: ٣٣٠/٦)

٨- بشطنتين: جمع شطن بفتح المعجمة وهو الحبل.

٩- السكينة: قيل ان المراد بالسكينة أنها شيء من مخلوقات الله تعالى فيها طمأنينة ورحمة ومعها الملائكة. والله أعلم

١٠ - فضل سورة الفتح:

أخرج البخاري عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لقد أنزلت على الليلة سورة، لهي أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا). (الفتح: ١)"

١١ - فضل سورة تبارك (الملك):

أخرج ابن مردويه والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر". (الصحيحة: ١١٤٠) (صحيح الجامع: ٣٦٤٣)

وعند الترمذي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- بلفظ: "هي المانعة، هي المنجية من عذاب القبر". وأخرج النسائي والحاكم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "من قرأ (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ) ^(١) كل ليلة منعه الله ﷻ بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة، وإنها في كتاب الله ﷻ سورة من قرأ بها في ليلة فقد أكثر وأطاب". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٥٨٩)

وأخرج الحاكم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يؤتى الرجل في قبره فتؤتى رجلاه فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك ثم يؤتى من قبل صدره أوقال: بطنه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك فهي المانعة تمنع عذاب القبر وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب".

(رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد) (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٧٥)

• تشفع لصاحبها حتى يغفر له:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت - وفي رواية: تشفع - لرجل حتى غفر له، وهي تبارك الذي بيده الملك". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٧٤) (صحيح الجامع: ٢٠٩١)

• تشفع لصاحبها حتى تخرجه من النار (إن دخلها) وتدخله الجنة:

فقد أخرج الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت ^(٢) لرجل فأخرجته من النار، وأدخلته الجنة". (صحيح الجامع: ٢٠٩٢)

وقال ﷺ: "سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة وهي تبارك" الطبراني في الأوسط". (صحيح الجامع: ٣٦٤٤)

• وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - لا ينام حتى يقرأها.

فقد أخرج البخاري في "الأدب المفرد" والترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ "ألم تنزل" السجدة، و"تبارك الذي بيده الملك". (الصحيحة: ٥٨٥)

١٢ - فضل سورة التكوير، والانفطار، والانشقاق:

من قرأ هذه السور فإنها تذكره الآخرة، وكأنها يراها رأى العين.

فقد اخرج الترمذي من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى العين فليقرأ (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) و (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) و (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ). (الصحيحة: ١٠٨١) (صحيح الترمذي: ٢٦٥٣)

١٣ - فضل سورة الكافرون:

-أخرج الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "...ومن قرأ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) عدلت له بربع القرآن، ومن قرأ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) عدلت له بثلاث القرآن".

(حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي)

- وأخرج الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن." قل يا أيها الكافرون " تعدل ربع القرآن ".

(الصحيحة: ٥٨٦) (صحيح الجامع: ٤٤٠٥)

- وقال النبي ﷺ: " نعمت السورتان يُقرأ بهما في ركعتين قبل الفجر: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) و (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) (والحديث أخرجه ابن خزيمة وهو في الصحيحة: ٦٤٦)

١٤ - فضل سورة الإخلاص:

أخرج البخاري من حديث قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) تعدل ثلث القرآن".

-وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "أعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟" قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) تعدل ثلث القرآن وفي رواية: "إن الله ﷻ جزأ القرآن بثلاثة أجزاء فجعل (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) جزءاً من أجزاء القرآن".

وعند البخاري بلفظ "أعجز أحدكم أن يقرأ بثلاث القرآن في ليلة" فشق ذلك عليهم، وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ) ثلث القرآن ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن" فحشد من حشد، ثم خرج النبي ﷺ فقرأ: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ثم دخل فقال بعضنا لبعض: إنا نرى هذا خبراً جاءه من السماء، فذلك الذي أدخله، ثم خرج النبي ﷺ فقال: "إني قلت لكم: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن ".

-وأخرج الترمذي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن، من قرأ "الله الواحد الصمد"، فقد قرأ ثلث القرآن". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٨١)

-وأخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)، والذي نفسى بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن".

-وأخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) يرددها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، وكان الرجل يتقالتها^(١)، فقال رسول الله ﷺ: "والذي نفسى بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن".

-وفي رواية: أن رجلاً قام في زمن النبي ﷺ يقرأ من السحر (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) لا يزيد عليها، فلما أصبح، أتى الرجل النبي ﷺ... الحديث

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: "والرجل القارئ هو قتادة بن النعمان أخو أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من أمه".

-وأخرج الإمام أحمد من حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: من قرأ: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) عشر مرات؛ بنى الله بيتاً في الجنة". (صحيح الجامع: ٦٤٧٢)

-وأخرج الإمام أحمد بإسناده عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: "من قرأ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) حتى يخطمها عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة" فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا نستكثر يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: "الله أكثر وأطيب". (الصحيحة: ٥٨٩)

-وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة-رضي الله عنها-: أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم ب (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: "سلوه لأي شيء يصنع هذا" فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: "أخبروه أن الله يحبه".

وفي رواية عند البخاري والترمذي عن أنس رضي الله عنه بلفظ:

"أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم ب (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)، فلما آتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: يا فلان، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك؟ وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟ فقال إني أحبها، فقال "حبك إياها أدخلك الجنة".

١ - يتقالتها: بفتح الياء والتاء وتشديد اللام، أي: يعدها قليلة في العمل.

وأخرج الترمذي والإمام مالك في الموطأ واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أقبلت مع رسول الله ﷺ فسمع رجلاً يقرأ: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) فقال رسول الله ﷺ: "وجبت" فسألته ماذا يا رسول الله؟ فقال: "الجنة". فقال أبو هريرة: فأردت أن أذهب إلى الرجل فأبشره، ثم فرقت^(١) أن يفوتني الغداء مع رسول الله ﷺ ثم ذهبت إلى الرجل فوجدته قد ذهب ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٧٨)

• سورة الإخلاص تتضمن اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب:

—فقد أخرج الترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن بريده عن أبيه: أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلي يدعو يقول: "اللهم أنى أسألك بأنى أشهد أن لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد" فقال النبي ﷺ: "والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى".

١٥ - فضل المعوذات (٢):

• المعوذات شفاء يُستشفى بها:

—فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات، وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح ببيده رجاء بركتها ".
—وفي رواية: "أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث، وأمسح بيد النبي ﷺ".

• مما يدل على فضلها أمر النبي ﷺ بقراءتها دبر كل صلاة:

فقد أخرج أبو داود لحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: "أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة ". (صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود)

• المعوذات يتحصن بها المسلم عند النوم:

— فقد أخرج البخاري عن عائشة -رضي الله عنها-: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" و "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ"، و "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ" ثم يمسح بها ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات".

١ - فرقت: بكسر الراء، أي: خفت.

٢ - ويطلق اسم المعوذات على سورة الإخلاص والمعوذتين، كما ذهب إلى هذا الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في فتح الباري: ٢٢/٩ ويدل على هذا الأحاديث السابقة، وقد ترجم عليها البخاري بقوله "باب فضل المعوذات".

• من قرأها في الصباح والمساء كفته من كل شيء:

- فقد أخرج أبو داود والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن خبيب رضي الله عنه قال: خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ يصلّي لنا، قال: فأدركته فقال: "قل"، فلم أقل شيئاً، ثم قال: "قل"، فلم أقل شيئاً، قال: "قل"، فقلت: ما أقول؟ قال: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) والمعوذتين، حين تمسي، وحين تصبح - ثلاث مرات - تكفيك من كل شيء". (صحيح الجامع: ٤٤٠٦)

١٦ - فضل المعوذتين:

- أخرج الإمام مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ألم تر آيات الليلة لم ير مثلهن قط (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)، (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) وهذا يدل على عظم فضل هاتين السورتين".

• ما تعوذ متعوذ بمثلهما قط:

- فقد أخرج أبو داود من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: بينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والأبواء إذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة، فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بـ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)، (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) ويقول: "يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما". وفي رواية لأبي داود: قال: كنت أقود برسول الله ﷺ في السفر فقال [لي]: "يا عقبة ألا أعلمك خير سورتين قرنتا" فعلمني: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)، (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) (صحيح أبي داود: ١٢٩٨)

- وأخرج ابن حبان من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله [أقرني آياً من سورة هود وآياً من سورة يوسف]، فقال ﷺ: "يا عقبة بن عامر إنك لن تقرأ سورة أحب إلى الله ولا أبلغ عنده من أن تقرأ" (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) فإن استطعت أن لا تفوتك في الصلاة فافعل".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٨٥)

- وأخرج النسائي وابن حبان من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "اقرأ يا جابر" فقلت: ما اقرأ بأبي أنت وأمي؟ قال: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)، (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) فقرأتهما فقال: "اقرأ بهما ولن تقرأ بمثلهما". (صحيح ابن حبان: ٧٩٦)

- وأخرج الترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان، وعين الإنسان، حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما". (صحيح الجامع: ٤٩٠٢)

رابعاً: كلام السلف عن القرآن وأهله:

- ١- قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: "لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم".
(رواه الإمام أحمد في زوائد الزهد ص ١٢٨) (حلية الأولياء: ٣٠٠/٧)
- ٢- وقال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: "من أراد أن يعلم أنه يحب الله فليعرض نفسه على القرآن، فإن أحب القرآن فهو يحب الله فإنما القرآن كلام الله جل جلاله".
- وقال رضي الله عنه أيضاً: "من أحب القرآن فهو يحب الله ورسوله".
(رواه الطبراني في الكبير وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦٥/٧ رجال ثقات)
- وقال أيضاً: "لا تهذوا القرآن هذ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل (التمر الرديء)، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة".
- وقال أيضاً: "من أراد العلم، فليقرأ القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين".
(مصنف بن أبي شيبة والمعجم الكبير للطبراني وشعب الإيمان للبيهقي)
- ٣- وقال خباب بن الارت رضي الله عنه:
"تقرب إلى الله ما استطعت وأعلم أنك لن تتقرب بشيء أحب إليه من كلامه".
(رواه الحاكم وأبو نعيم في حلية الأولياء: ١٩٩/٩)
- ٤- وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "إن البيت ليتسع على أهله، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويكثر خيرُه أن يُقرأ فيه القرآن، وأن البيت ليضيق على أهله، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين، ويقل خيرُه أن لا يُقرأ فيه القرآن". (إحياء علوم الدين: ٢٧٣/١)
- ٥- وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: "عليك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن؛ فإنه روحك في أهل السماء، وذكرك في أهل الأرض، وعليك بالصمت إلا في حق، فإنك تغلب الشيطان". (نزهة الفضلاء: ٢٤٨/١)
- ٦- وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: "إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار". (التيان للنووي - رحمه الله - ص ٢٨)
- ٧- وسئلت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن؟ قالت: "كانت تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله ﻋﻠﻴﻚ فقال: (اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)". (الزمر: ٢٣)

٨- وقال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: "ضمن الله ﷻ لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه، هداه الله من الضلالة، ووقاه سوء الحساب، ذلك بأن الله تعالى يقول: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)".

(طه: ١٢٣، ١٢٤)

٩- وقال ابن مسعود ؓ: "ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليته إذا الناس نائمون، ونهاره إذا الناس يفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون". (لطائف المعارف ص ٢٤٨)

١٠- وقال محمد بن كعب -رحمه الله-: "كنا نعرف قارئ القرآن بصفرة لونه".

يشير إلى سهره وطول تهجده

١١- وقال وهيب بن الورد -رحمه الله-: " قيل لرجل ألا تنام؟! قال: "إن عجائب القرآن أطرن نومي".

١٢- وقال أحمد بن الحواري -رحمه الله-: "إني لأقرأ القرآن وانظر في آية فيحير عقلي بها، وأعجب من حُفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله، أما إنهم لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحاً بما رزقوا". (لطائف المعارف ص ٢٤٨)

وأنشد ذو النون المصري:

منع القرآن بوعدِهِ ووعدِهِ مُقَلَّ العيونِ بليلِها لا تَهْجَعُ
فهموا عن الملك الكريم كلامه فهمًا تذُلُّ له الرقابُ وتخضعُ

(لطائف المعارف ص ٢٤٨)

١٣- وقال مالك بن دينار -رحمه الله-: "يا حملة القرآن ماذا غرس القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيعُ المؤمن، كما أن الغيث ربيعُ الأرض، وقد ينزل الغيث من السماء إلى الأرض، فيصيبُ الحشَّ فيكونُ فيه الحبةُ فلا يمنعها نبتٌ موضعها أن تهتزَّ وتخضرَّ وتحسنَّ، فيا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة، أين أصحاب سورتين، ماذا عملتم فيها؟؟". (حلية الأولياء: ٣٥٨/٢)

وقال أيضاً -رحمه الله-: "إن الصديقين إذا تُلِّيتَ عليهم آياتُ الرحمنِ طربت قلوبُهم واشتاقَت إلى ما عنده ثم يقول: اسمعوا إلى ما يقول الملك سبحانه من فوق عرشه، ثم يبدأ في التلاوة".

١٤- وقال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: "كفي بالله مُحبًّا، وبالقرآن مُؤنسًا، وبالموت واعظًا، اتَّخذَ الله صاحبًا، ودع الناس جانبًا".

وقال أيضًا: "من لم يستأنس بالقرآن فلا آنسَ الله وحشَّتَه".

وقال أيضاً: " حاملُ القرآنِ حاملُ رايةِ الإسلام، لا ينبغي أن يلهوَ مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو، تعظيماً لحق القرآن "

١٥- وقيل لذي النون -رحمه الله-: " ما الأنس بالله؟! قال: العلم والقرآن "

١٦- وقال الحسن -رحمه الله-: " إنَّ مَنْ كان قبلكم رأوا القرآنَ رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار "

١٧- وقال كعب الأحبار -رحمه الله-: " عليكم بالقرآن؛ فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث الكتب عهداً بالرحمن ". (حلية الأولياء: ٣٧٦/٥)

١٨- وقال محمد بن واسع -رحمه الله-:

" القرآنُ بستان العارفين، فأينما حلَّو منه، حلُّوا في رياض نضرة ". (حلية الأولياء: ٣٤٧/٢)

١٩- وقال أحدُ الصالحين لتلميذه: " أتَحفظ القرآن؟ قال: لا، فقال: واغوثاه، يا الله لمريد لا يحفظ القرآن، فبم يتتعم، فبم يترنم؟ فبم ينجى مولاه؟ "

٢٠- وقال عبد الله بن عمير -رحمه الله-: " كان يُقال أنقى الناس عقولاً قُرَّاء القرآن "

٢١- وقال قتادة -رحمه الله-: " لم يجالس هذا القرآنَ أحدٌ إلا قام بزيادة أو نقصان، قضاء الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً "

٢٢- قال وهيب بن الورد -رحمه الله-:

" نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أرق للقلوب، ولا أشد استجلاباً للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره "

٢٣- وقيل لبعضهم: " إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء؟ فقال: أو شيء أحب إلي من القرآن حتى أحدث به نفسي؟! "

٢٤- وقال أحمد بن أبي الحواري -رحمه الله-: " سمعت ابن عيينة يقول: " لا تبلغون ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله ﷻ، فمن أحب القرآن فقد أحب الله ﷻ ". (حلية الأولياء: ٢٧٨/٧)

خامساً: اجتهد السلف في قراءة القرآن

١- عثمان بن عفان ؓ:

يقول سليمان بن يسار-رحمه الله-: قام عثمان بن عفان ؓ بعد العشاء فقرأ القرآن كله في ركعة لم يصل قبلها ولا بعدها ". (ترطيب الأفواه للعفاني حفظه الله: ١٢١/٢)

٢- تميم الداري ؓ:

يقول ابن سيرين -رحمه الله-: " كان تميم الداري يقرأ القرآن في ركعة ".

٣- عروة بن الزبير-رضي الله عنهما-:

قال ابن شاذب - رحمه الله-: " كان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظراً، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله، وكان وقع فيها الأكلة، فنشرت ".

(الحلية: ١٧٨/٢) (سير أعلام النبلاء: ٤/٢٦٦)

٤- الحسن بن صالح بن حيّ الثوري-رحمه الله-:

يقول عنه وكيع: " كان الحسن وعليّ ابني صالح، وأمهما قد جزأوا الليل ثلاثة أجزاء يختمون فيه القرآن في كل ليلة، فكان كل واحد يقوم بثلثه، فماتت أمهما، فكانا يختمانه، ثم مات عليّ فكان الحسن بن صالح يختم كل ليلة ". (تهذيب التهذيب: ٢/٢٨٨)

٥- يحيى بن سعيد القطان -رحمه الله- "أمير المؤمنين في الحديث":

قال عنه يحيى بن معين: " أقام يحيى بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن كل ليلة ".

(سير أعلام النبلاء: ٩/١٧٩)

٦- عبد الرحمن بن مهدي -رحمه الله-:

يقول علىّ بن المديني: " كان ورد عبد الرحمن كل ليلة نصف القرآن ". (المصدر السابق: ٩/٢٠٣)

٧- قتادة - رحمه الله-:

كان قتادة يختم في كل سبع دائماً، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كل ليلة.

(المصدر السابق: ٥/٢٧٦)

٨- أبو بكر بن عياش-رحمه الله-:

يقول عنه الذهبي- رحمه الله -: " وقد روى من وجوه متعددة أن أبا بكر بن عياش مكث نحواً من أربعين سنةً يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة ". (المصدر السابق: ٨/٥٠٣)

وقال يحيى اليماني- رحمه الله-: " لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكى أخته، فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمه ".

(ترطيب الأفواه للشيخ العفاني حفظه الله: ٢/١٢٦)

٩- الإمام حمزة بن حبيب الزيات، القيم بكتاب الله، العابد الخاشع، القانت لله:

يقول: "نظرت في المصحف حتى خشيت أن يذهب بصري". (المصدر السابق)

١٠- ثابت البناني -رحمه الله-:

قال عنه شعبة: "كان ثابت يقرأ القرآن في يوم وليلة، ويصوم الدهر".

١١- ابن القاسم -رحمه الله-:

قال أسد بن الفرات -رحمه الله-: "كان ابنُ القاسم يختم كل يوم وليلة ختمتين قال: فنزل به حين جئت إليه عن ختمة، رغبة في إحياء العلم".

١٢- شيخ الإسلام الحافظ الناقد أبو بكر بن محمد بن محمد تقي الدين البلاتنسي:

كان يختم في رمضان في كل ليلة ختمتين، وأكبَّ في آخر عمره على التلاوة فكان لا يأتيه الطلبة لقراءة الدرس إلا وجدوه يقرأ القرآن.

١٣- والشيخ الفاضل محمد بن علاء شمس الدين البابلي القاهري الشافعي:

كان كثير العبادة يواظب على قراءة القرآن سرًا وجهراً، وكان راتبه في كل يوم وليلة نصف القرآن ويختم يوم الجمعة ختمة كاملة، وكان كثير البكاء عند قراءة القرآن.

(ترطيب الأفواه للعفاني -حفظه الله-: ١٣٢/٢)

١٤- محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي أبو عبد الله الحلقاوي التونسي نزيل غرناطة يعرف

بابن المؤذن: كان صاحب مقامات وكرامات، حسن الصلاة جدًّا، وكان يختم في رمضان مائة ختمة.

(المصدر السابق)

١٥- الإمام الشافعي -رحمه الله- (إمام الدنيا وناصر السنة):

قال عنه الربيع بن سليمان: "كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة يقرأها في غير

الصلاة". (سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٣٦) (لطائف المعارف: ص ٢٤٦)

١٦- أبو حنيفة النعمان -رحمه الله-:

يقول عنه شمس الأئمة الكردي في كتابه (مناقب الإمام أبي حنيفة): "وكان الإمام أبو حنيفة - رحمه

الله- يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة، وفي رمضان في كل يوم مرتين، مرة في النهار ومرة في الليل"

(ترطيب الأفواه للعفاني -حفظه الله-: ١٢٦/٢)

١٧- وكان الحافظ ابن عساكر -رحمه الله-: "يختم كل جمعة، ويختم في رمضان كل يوم، وكان

كثير النوافل والأذكار، ويحاسب نفسه على كل لحظة تذهب في غير طاعة".

١٨- الإمام البخاري -رحمه الله-:

كان يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة.

١٩- الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: قال عنه جعفر بن أبي هاشم: "سمعت أحمد بن حنبل يقول: " ختمت القرآن في يوم، فعددت موضع الصبر، فإذا هو نيف وتسعون ".
(ترطيب الأفواه للعفاني -حفظه الله: ١٢٨/٢)

٢٠- بشر الحافي -رحمه الله-:

قال الإمام عليُّ بنُ المديني شيخ البخاري: " حفر بشر الحافي قبره، وختم فيه القرآن وكان ورده ثلث القرآن ". (المصدر السابق)

٢١- " وكان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وكان يختم في غير رمضان في كل ست ليال ". (حلية الأولياء: ١٦٣/٢)

تنبيه:

قال الإمام ابن رجب -رحمه الله- بعد ذكر هذه الآثار: " وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصاً الليلي التي يُطلب فيها ليلة القدر أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً للزمان والمكان. وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم ". (لطائف المعارف: ص ٢٤٦)

وأخيراً أحبتي في الله: اعلموا أن القرآن حجة لنا أو علينا.

- فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "القرآن حجة لك أو عليك".

- وجاء في الحديث الذي أخرجه ابن حبان والطبراني من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار".
(صحيح الجامع: ٤٤٤٣)

ففي هذا الحديث أنذر ووعد لمن هجر القرآن المجيد وجعله وراءه ظهرياً، وهذا الصنف يشتكى النبي الأمين ﷺ لرب العالمين، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (الفرقان: ٣٠، ٣١)

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في كتابه "الفوائد ص ٩٤": هجر القرآن أنواع: أحدهما: هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه، والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وأحسن به، والثالث: هجر تحكيمه، والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم، والرابع: هجر تدبره، وتفهمه، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه، والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب، وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله تعالى: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) وإن كان بعض الهجر أهون من بعض " . اهـ.

فيا أيها الأحبة: عليكم بالقرآن قبل فوات الإمكان، وحافظوا على حدوده من التفريط والعصيان. واعلموا أنه شاهد لكم أو عليكم عند الملك الديان. وليس من شكرِ نعمة الله بإنزاله علينا أن نتخذه وراءنا ظهرياً.

فاللهم ارزقنا تلاوة القرآن وحفظه على الوجه الذي يرضيك عنا.

وأهدنا به سبلَ السلام، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور،

واجعله حجةً لنا لا علينا واغفر لنا به الزلات والسيئات،

وأرفع لنا به الدرجات يا مجيب الدعوات.

أمين

وبعد...

فهذا آخر ما تيسر جمعه في هذه الرسالة
وأسأل الله - تعالى - أن يكتب لها القبول، وأن يتقبلها مني بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن
ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومن أعان على إخراجها ونشرها..... إنه ولي ذلك والقادر عليه.
هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن
الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان
صواباً فادع لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي.

وإن وجدت العيب فسد الخلا جلّ من لا عيب فيه وعلا
فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
هذا والله - تعالى - أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك